http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

تحت عباءة أبي العلاء

نجيب سرور

حققه وكتب مقدمته

د.حازم خيري

نشر/مؤسسة بحزاني للثقافة والنشر

نجيب: أيها الثائر ..لم لُذت بدارك؟

أبو العلاء: "أولو الفضل فى أوطانهم غرباء!"

نجيب: لم لم ترحل..

أبو العلاء: إلى أين الرحيل؟

أى فرق بين أن أنفى بعصري،

لو تروم الصدق أو أُنفى بداري،

أو أراني ضائعا فى غير داري؟!

نجيب سرور

(لزوم ما يلزم)

قائمة المحتويات

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror

http://www.facebook.com/naguib.soror

المقدمة

"أولو الفضل في أوطانهم غرباء!"، لكم تصدق تلك العبارة العلائية الرائعة أكثر ما تصدق على هذا الكتاب القيم وصاحبه الراحل النبيل نجيب سرور. وقصة

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

الجزء الأول
الفكر والشعر فى منظور أبي العلاء
(مجموعة مقالات)

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

المقالة الأولى

أبو العلاء المعري بين الترغيب والترهيب

محنة هى ومتعة أن ترفض العالم الذي لا يعجبك من أجل عالم تتمناه، ومحنة هى ومتعة أن تتحدى كل قوى الشر والقهر والاستبداد. ومحنة ثالثة أن تعاند قوى اليأس والتثبيط والاحباط فى كل ما حولك. ومحنة أن تقف من العالم المحيط بك موقف النقد، رغم أمراض البدن والروح. ومحنة أن ترى نفسك عملاقا وسط أقزام، ونابهة وسط أغبياء ونابغة بين أوساط الناس وجهلائهم. إنها محنة ومتعة لا يحسها إلا العمالقة من بني الانسان والعباقرة منهم على التخصيص حين يفسد الملح، كل الملح، تُطبق الظلمات وتتضافر قوى الشر على قهر الفرد والجماعات. وقلة من بني الانسان هي دائما الطلائع، وهي دائما التى تقف في وجه كل قوى الحصار، وخاصة حين لا يبدو هناك بصيص من نور، وحين يتردد الانسان بين قوى الترغيب وقوى الترهيب.

هذه فى العادة وقفة لا يقفها إلا أولئك الذين يُولدون أو يعيشون أو يموتون على الحافة، حافة الانتقال من عصر إلى عصر، الانتقال من مجتمع الى مجتمع، ميلاد علاقات وموت علاقات أخرى، قيام أبنية وانهيار أبنية أخرى. قد لا تكون هذه العملية ملحوظة ولا ظاهرة للعيان ولا مكشوفة بالدرجة الكافية، ولكن رصدها هو مهمة الطلائع والنوابغ فى كل العصور، وهم في هذا لا يعبرون عن وجدان خاص متفرد ولا متميز . وان كانوا كذلك بالفعل . ولكنهم يعبرون، شاعوا أو لم يِشاعوا، عن حركة التاريخ ووجدان الجماهير. وليس أمر على النفس الكبيرة، والكبرياء المتمرد، الذي يميز هؤلاء عادة على كل العصور، من أن تجد نفسها في دوامة الاغراء والارهاب والمساومة والتسليم والاستسلام والتحدى والعناد والاصرار ..إلى آخر ما تثيره المعركة عادة من آلام النفس والروح.

وليس ثمة نموذج لكل ما قلناه أروع من الحوار الذي دار يوما ما بين المعتزل المنتمي فى نفس الوقت: الزعيم الامام أبي العلاء العري، وبين "داعي الدعاة". لقد بدأ داعي الدعاة مراسلة أبي العلاء من منطق مختلف تماما، وموقع مختلف تماما

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

عن منطق وموقع رهين المحبسين بل رهين الثلاثة محابس. واضطر أبو العلاء إلى الرد، والرد والرسائل وثيقة ضميرية هامة وشيقة ونموذجية، تعتبر درسا فى الصمود وفي أخلاق الرجال وفي كبرياء النوابغ.

قال ياقوت (الحموي) في معجمه (معجم الأدباء): "إن أبا نصر بن أبي عمران داعي الدعاة بمصر لما قرأ قول أبي العلاء:

غدوت مريض العقل والقلب فالقني

لتُخبر أنباء العقول الصحائح

كتب إلى المعري يقول له: أنا ذلك المريض رأيا وعقلا، وقد أتيتك مستشفيا فاشفني. ودارت بينهما مراسلات فى ذلك..

ولما وقفت على ذلك (والكلام هنا لياقوت) اشتهيتُ أن أقف على صورة ما دار بينهما على وجهه، حتى ظفرتُ بمجلد وفيه عدة رسائل من أبي نصر هبة الله بن موسى بن أبي عمران إلى المعري فى هذا المعنى، وانقطع الخطابُ بينهما على المساكتة. ونقلُها على الوجه يطولُ، فلخصتُ منها الغرض دون تفاصح المعري وتشدقه"!

بدلا من السخرية

اما أن "المساكتة" تمت بعد تمام التراسل بين أبي العلاء وداعي الدعاة، بمعنى أن يكون داعي الدعاة قد اقتنع بردود أبي العلاء كما هو متوقع وبمعنى أن يكون قد فهم ما يقصده أبو العلاء بالبيت المذكور فى اللزوميات، واما أن تكون المساكتة كما يغلب الظن عندنا راجعة إلى عجز داعي الدعاة عن استنطاق أبي العلاء واستبطان داخلته ومعرفة سره، واما أن تكون المساكتة من جانب ياقوت نفسه، خاصة وأنه يشير إلى مجلد من الرسائل بين أبي العلاء وبين داعي الدعاة ويشير إلى أنه اختصره اختصارا يبدو فيه العمد وسبق الاصرار أكثر مما تبدو فيه العفوية. كما لا ننسى دلالة هجوم ياقوت على أبي العلاء بالذات لا على داعي الدعاة وذلك حين اتهم أبا العلاء بالتفاصح والتشدق، مما يدل على الرغبة فى الترضية وذلك بغير موجب يستدعي الهجوم مما تقرؤه فى ردود رهين المحبسين على

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

داعي الدعاة، بل الأوجب والأقرب إلى المنطق أن يقف ياقوت إلى جانب أبي العلاء بدلا من السخرية الصريحة منه.

هذا موقف تمليه الاعتبارات الانسانية قبل كل شيء مهما كانت ردود رهين المحبسين. ومهما يكن الأمر فلنترك داعي الدعاة يتكلم بنفسه ولنطرح المسألة برمتها أمام محكمة القراء وهي لابد عادلة ولابد أن تقف إلى جانب أبي العلاء البريء تماما من التفاصح والتشدق، والبريء تماما من كل التهم الأخرى التى طالما وُجهت إليه على مدى ألف عام. إن داعي الدعاة يبدأ رسالته بالنفاق الظاهر والثعبانية ليُزهد أبا العلاء فى الأدب ويُحبب إليه الدنيا ويعرض عليه نوعا من الترغيب: "الشيخ . أحسن الله توفيقه . الناطقُ بلسان الفضل والأدب، الذى ترك من عداهُ صامتا، مشهود له بهذه الفضيلة من كل من هو فوق البسيطة. غير أن الأدب الذى هو جالينوسُ طبه، وعنده مفاتيح غيبه، ليس مما يفيده كبير فائدة فى معاشه أو معاده سوى الذكر السائر به الركبان، مما هو إذا تسامح المذكور به علم أنه له بمكانه الجمال والزينة ما دام حيا، فاذا رمت به يدُ المنون من ظهر الأرض إلى بطنها فلا بحُسن ذكره ينتفع، ولا بقبحه يستضر".

استدراج

ثم يستطرد داعي الدعاة فى زعزعة ايمان أبي العلاء بجدوى اعتزاله وزهده وعذاباته بطريقة عدمية صارخة، فيقول: "وإذا كانت الصورة هذه كان مستحيلا منه . أيده الله . مع وفور عقله، أن جعل مواده كلها منصبة إلى أحكام اللغة العربية والتقعر فيها، واستيفاء أقسام ألفاظها ومعانيها، ووفر عمره على ما لا نتيجة له منها، وترك نفسه المتوقدة نارُ ذكائها خلوا من النظر فى شأن معاده...".

ثم يستطرد داعي الدعاة فى الاستدراج البوليسي لرهين المحبسين، فيقول: "فاذا هو . حرسه الله . بمقتضى هذا الحكم مرتو من عذب مشرب هذا العلم، وإنما ليس يبوح به لضرب من ضروب السياسة. والدليل على كونه ناظرا لمعاده سلوكَهُ سبيل العيش والتزهد...".

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

ويخلص داعي الدعاة بطريقة ماهرة خبيثة بعد هذا التكتيك إلى ما يريد فيستطرد قائلا: "..ولما رأيتُ ذلك وسمعتُ داعية البيت الذي يُعزى إليه، وهو:

غدوت مريض الدين والعقل فالقني

لتعلم أنباء الأمور الصحائح

فشددتُ إليه راحلة العليل فى دينه وعقله إلى الصحيح الذي ينبئني أنباء الأمور الصحائح. وأنا أولُ ملب لدعوته، معترف بخبرته، وهو حقيقُ أن لا يوطئني العشوة، فيسلك بي فى المجاهل، ولا يعتمد فيما يورده تلبيس الحق بالباطل. وأول سؤالي عن أمر خفيف، فإن استنشقتُ نسيم الشفاء، سقتُ السؤال إلى المهم..."

إنه التمهيد إلى انزلاق أبي العلاء إلى الفخ...

أبو العلاء يدرك

ولنستمع إلى الصوت الآخر، صوت أبي العلاء، المدرك جيدا للفخ المنصوب له وللطريق إليه، والمصر على ألا ينزلق واضعا في حسابه قرب داعي الدعاة من السلطة: "قال العبد الضعيف العاجز....

إني أعد سيدنا الرئيس الجليل المؤيد في الدين . أطال الله بقاءه . ممن ورث حكمة الأنبياء، وأعد نفسي الخاطئة من الأغبياء...

وهو بكتابه إلى متواضع، ومن أنا حتى يكتب مثلُهُ إلى مثلي؟! مثله فى ذلك مثل الثريا كتبت إلى الثرى. وقد علم الله أن سمعي ثقيل، وبصري عن الأبصار نقيل (غريب)...

إن الله جلت عظمتُهُ حكم على بالإزهاد، فطفقت من العُدم فى جهاد، وأما قول الضعيف العاجز:

غدوت مريض العقل والدين فالقني

فإنما أخاطب به من هو في غمرة الجهل، لا من هو للرياسة علم وأصل.......

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

فلما بلغ العبد الضعيف العاجز اختلافُ الأقوال، وبلغ ثلاثين عاما، سأل ربه إنعاما، ورزقه صوم الدهر، فلم يفطر فى السنة ولا الشهر، إلا فى العيدين، وصبر على توالى الجديدين...".

على أنه لابد من ملاحظة أن أبا العلاء اُستدرج فعلا، وإلى درجة ما، إلى الفخ المنصوب واندفع بطبيعته العنيدة يدافع عن النباتيين ويثير قضايا كان يمكن أن تُطيح برأسه فى عصر المذاهب والطرائق والشيع، ولكن الأهم من ذلك أن أبا العلاء يختم رسالته بقوله: " ومما حثني على ترك أكل الحيوان أن الذي لي في السنة نيف وعشرون دينارا، فإذا أخذ خادمي بعض ما يجب، بقى لى ما لا يُعجبُ، فاقتصرت على فول ويُلسُن (العدس) وما لا يعذب على الألسن..

فأما الآن فإذا صار إلى من يخدمني كبير عندي وعنده هين، فما حظي إلا اليسير المتعين. ولست أريدُ في رزقي زيادة، ولا أوثر لسقمي عيادة، والسلام..".

المصارحة المباشرة

ولكن داعي الدعاة أخطأ فهم رهين المحبسين، فبعد فشل التكتيك الخبيث الثعباني الماكر خلص من الحوار الضمني إلى المصارحة المباشرة ليعرض غرضه الأصلي على رهين المحبسين، فيقول فى إحدى رسائله إلى أبي العلاء: "...وقد كاتبتُ مولاى تاج الأمراء (يقصد الأمير ثمال بن صالح المرداسي وهو يُلقب أيضا معز الدولة) - حرس الله عزه . أن يتقدم بازاحة العلة، فيما هو بلغةُ مثله من ألذ الطعام، ومراعاته على الإدرار والدوام، ليتكشف عنه غاشية هذه الضرورة، ويجرى أمرُهُ في معيشته على أحسن ما يكون من الصورة...".

ولكن أبا العلاء رفض. وهكذا يكون موقف العبقرية، موقف الكبرياء والتحدي والصبري والاصرار ومواجهة كل الصعوبات وكل قوى القهر والترغيب فى سبيل الانتماء فى الاعتزال أو الاعتزال فى الانتماء، وذلك على الحافة بين عصر وعصر. إنه رجل لكل العصور.

•••••••

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

المقالة الثانية

منـهج الشك بين أبي العلاء وديكارت وطه حسين

"لا تولوا أموركم أيدي الناس

إذا ردت الأمور إليكـم"

"تنام أعين قوم عن ذخائرهم

والطالبون أذاهم ما يناموا"

أبو العلاء

يسود الاعتقاد بين المثقفين العرب بأن طه حسين استقى منهج الشك الذى نظر به إلى "الشعر الجاهلي" من الفيلسوف الفرنسي ديكارت! ولعل طه حسين قد استمرأ هذه النغمة فراح يُرددها ويُكررها، ربما طلبا للسلامة ونوعا من الحذر والحيطة وحتى لا يُعرض نفسه لأخطار متوقعة!..

فهل صحيح هذا الاعتقاد؟!

الواقع أنه غير صحيح على الاطلاق. فطه حسين ذو طبيعة "فنية" كما أشرت إلى ذلك فى غير هذه المناسبة، وهو لايملك الطبيعة "العقلانية" ولا العقلية الفلسفية التى تمكنه من أن يطبق منهج الشك عند ديكارت على الشعر الجاهلى بالذات ويستنتج من التطبيق النتائج المنطقية اللازمة التى أثارت عليه الرأي العام العربي فى حينها.

ثم إن ديكارت بعيد تماما عن الموضوع والقفزة منه إلى الشعر الجاهلي قفزة مستحيلة. وما لم تكن الأفكار الأساسية التى قام عليها كتاب طه حسين "فى الشعر الجاهلي" جاهزة بين يديه وناضجة وواضحة وصريحة لما كان له أن يراها فى ضوء منهج الشك عند ديكارت فأين رآها طه حسين؟!

رآها جاهزة وناضجة وصريحة عند أبي العلاء المعري وفى رسالة الغفران على التحديد، وإن كانت بذورها وأصداؤها مبعثرة فى مقدمتي سقط الزند ولزوم ما لا يلزم ومترددة بين الصراحة والضمنية كما فى الديوانين المذكورين. فلماذا لا نرد

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

الأشياء الى أصولها الحقيقية.. ولماذا نتمسح بديكارت ونغمط سبق وحق أبي العلاء؟! ربما كما قلت ايثارا للسلامة، فمن الخطر على كل حال الاشارة الى أبي العلاء أو الاقتراب منه أو تبني أفكاره. وطه حسين بالذات كان رجلا يجيد الاحتياط لنفسه ويقدر الظروف المحيطة به.

المنحول والصحيح

فى السطور الأولى من رسالة الغفران يرد ذكر أبي زيد الأنصاري البصري الذى روى عن خلف الأحمر الذى أتى الى الكوفة ليكتب عنهم الشعر فبخلوا عليه به فكان يعطيهم المنحول ويأخذ الصحيح..فلما مرض قال لهم: "ويلكم..اني تائب الى الله. هذا الشعر لي". فلم يقبلوا منه فظل منسوبا الى العرب لهذا السبب!.. واذا كان هذا عن الشعر فيما بعد الاسلام فهو أصدق على الشعر الجاهلي. وعندما يصبح الشعر محلا للشك بين الصحيح والمنحول . الاسلامي والجاهلي بالتالي . فان هذا يُعرض التراث كله للشك. لأن الشعر الجاهلي هو المصدر أو المرجع اللغوي الأساسي. مما يشكك أيضا فى كل ما رواه الرواة من شعر أو من خبر ! وما دام المنحول تسرب الى الشعر الجاهلي فمعنى هذا أنه تسرب الى كل التراث فيما بعد الجاهلية؟..فماذا نصدق وماذا نكذب؟ انه مأزق بديع الزمان الهمذاني القائل:

اياك واحذر أن تكون
من الثقات على ثقة !

على أن أبا العلاء يلح على المنحولات فى التراث العربي الجاهلي والاسلامي والقديم والحديث الحاحا غريبا على طول رسالة الغفران، ولكن بذكاء نادر لأنه يعلم خطورة ما يقول.

يفعل الرجل ذلك من خلال لقاءات ابن القارح المتخيلة والمدبرة لمختلف النحاة واللغويين والرواة والشارحين والحفظة وشعراء الجاهلية والاسلام، ومن خلال سؤال ابن القارح عما ينسبه اليهم الرواه والمؤولون والمصحفون والناحلون، ومن خلال ما يورده ويحيل اليه من أسماء الشعراء أو من خلال استشهاداته بأبيات وقطع لهم.

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror

ففي لقاء مع النابغة الذبياني يقول ابن القارح: "لله درك يا كوكب بني مرة! ولقد صحف عليك أهل العلم من الرواة. وكيف لى بأبوي عمرو المازني والشيباني وأبي عبيدة وعبد الملك وغيرهم من النقلة لأسألهم كيف يروون وأنت شاهد لتعلم أني غير المتخرص ولا الولاغ..".

ثم يسأل ابن القارح النابغة عن قوله:

ألما على الممطورة المتأبدة

أقامت بها فى المربع المتجردة

فيقول النابغة فينكر نسبتها إليه: "ما أذكر أني سلكت هذا القرى قط!!". فيقول ابن القارح: "ان هذا لعجب! فمن الذى تطوع فنسبها اليك؟". فيقول: "انها لم تُنسب الى على سبيل التطوع، ولكن على معنى الغلط والتوهم، ولعلها لرجل من بني ثعلبة بن سعد". فيقول نابغة بني جعدة . وكان حاضرا المجلس .: "صحبني شاب فى الجاهلية ونحن نريد الحيرة، فأنشدني هذه القصيدة المنسوبة الى النابغة الذبياني لنفسه، وذكر أنه ابن ثعلبة، وصادف قدومه شكاة من النعمان، فلم يصل بها اليه". فيقول نابغة بنى ذبيان: "ما أجدر ذلك أن يكون!".

هنا يسجل أبو العلاء الشك، لا فى أخطاء لغوية أو نحوية أو لحنية مما تخطينا الكثير منه عمدا لضيق النطاق وكثرة الاستشهادات، وانما فى قصيدة كاملة من الشعر الجاهلي تُنسب ظلما الى النابغة الذبياني!

ثم يشير أبو العلاء الى النسيان الذي كان سببا فى ضياع الكثير من التراث العربي الجاهلى والاسلامي، مما أتاح الفرصة كاملة لتسلل المدسوس والمنحول والمغلوط والمصحف. وذلك فى لقاء ابن القارح بعوران قيس: تميم بن مقبل العجلاني، وعمرو بن أحمر الباهلي، والشماخ معقل بن ضرار، وراعي الابل عبيد بن الحصين النميري، وحميد بن ثور الهلالي. وذلك حين يقول ابن القارح للشماخ بن ضرار: "لقد كان فى نفسي أشياء من قصيدتك التى على الزاي وكلمتك التى على الجيم فأنشدنيهما لا زلت مخلدا كريما".

فيقول الشماخ: "لقد شغلني عنهما النعيم الدائم فما أذكر منهما بيتا واحدا". فيقول ابن القارح لفرط حبه بالأدب: "لقد غفلت أيها المؤمن واضعت! أما علمت أن

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

كلمتيك أنفع لك من ابنتيك..وان القصيدة من قصائد النابغة لأنفع له من ابنته عقرب؟!"

انظروا الى أي حد يقدس أبو العلاء هنا التراث ويحرص على سلامته ويأسف لضياعه؟

ثم ينشده قصيدته التى على الزاي، فيجده بها غير عليم! ثم يسأل عن عمرو بن الأحمر، فيحضر فورا فيسأله عن أشياء فى قصيدته الرائية فيجده غير مبال. ويقول عمرو: "لم تترك فى أهوال القيامة غبرا للانشاد. وقد شهدت الموقف، فالعجب لك اذا بقي معك شيء من روايتك". والقيامة والموقف اشارتان رمزيتان لما عاناه الشعراء فى حياتهم من العذابات والأهوال.

فيقول تميم: "والله ما دخلت من باب الفردوس ومعى كلمة من الشعر ولا الرجز. وذلك أني حوسبت حسابا شديدا..وإن حفظك لمبقي عليك، كأنك لم تشهد أهوال الحساب".

ثم يشكك أبو العلاء فى الشعر العربي كله عندما يحكي ابن القارح قصته يوم الموقف . القيامة . ومحاولاته رشوة رضوان خازن الجنة وزُفر خازن النار بأشعار موزونة على طراز قصائد جاهلية شهيرة فلا تحرك أشعاره منهما ساكنا. ويسأله رضوان:

. وما الأشعار؟

. الأشعار جمع شعر، والشعر كلام موزون تقبله الغريزة على شرائط، اذا زاد أو نقص أبانه الحس، وكان أهل العاجلة يتقربون به الى الملوك والرؤساء.

ويقول زُفر: "لا أشعر بالذى قصدت..وأحسب هذا الذي تجيئني به قرآن ابليس المارد ولا ينفق على الملائكة، إنما هو للجان وعلموه ولد آدم ...فمن أين أنت؟ فيقول: "من أمة محمد بن عبد المطلب". فيقول زُفر: "صدقت، ذلك نبي العرب، ومن تلك الجهة أتيتني بالقريض، لأن ابليس اللعين نفثه فى اقليم العرب فتعلمه نساء ورجال".

ان نسبة الشعر العربي الى ابليس تشكيك ما بعده تشكيك فى التراث الشعري كله. وكذلك نسبته الى الجان، خاصة اذا وضعنا فى اعتبارنا الأشعار التى نسبها

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

أبو العلاء الى الجن فى رسالة الغفران والتى هي من وضعه بغير شك، ثم إن العرب . كما يقول . كانوا يقولون الشعر على الغريزة والفطرة والعفوية، ولكن هناك أناسا أو قوما تعلموه رجالا ونساءا ولم يكن يتعلمه العرب؟! من هنا فُتح الباب على مصراعية أمام الشعر المصنوع المنحول المدسوس الذى يرفضه الحس العربي الأصيل..وأبو العلاء من القلة النادرة التى كانت تتمتع بهذا الحس. وماذا حين يُرد الشعر كله الى ابليس وأعوانه؟ ومن هو ابليس وأعوانه فى معجم أبي العلاء هذا ما نعد بالقول فيه قريبا.

الصافي والمخلوط

أين الخالص الصافي من تراثنا وأين المخلوط؟!

وهكذا يُشهر أبو العلاء منهج الشك كالسيف القاطع على طول رحلة ابن القارح فى رسالة الغفران وشعاره كما ورد فى اللزوميات:

وكيف أرجي من زماني زيادة
وقد حذف الأصلي حذف الزوائد

وقوله:

فان تعهديني لا أزال مسائلا
فانى لم اعط الصحيح فاستغني

ثم قوله:

تلوا باطلا وجلوا صارما
وقالوا صدقنا فقلنا نعم!

وكثير غير هذا..

ولكثرة الاستشهادات العلائية لا أملك إلا أن أحيل القاريء الى حديث ابن القارح مع حمزة بن عبد المطلب، لأنه كما يقول أبو العلاء: "شاعر، واخوته شعراء، وكذلك أبوه وجده، ولعله ليس بينه وبين معد بن عدنان، إلا من قد نظم شيئا من موزون". فأين شعر حمزة بن عبد المطلب وشعر أبائه وأجداده؟ ثم ما دلالة تأصل

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror

http://www.facebook.com/naguib.soror

الشعر فيه أبا عن جد؟ وما هي النتائج المترتبة على هذا ان صح وهو لا شك صحيح؟!

ثم أحيل القاريء الى مقابلة ابن القارح للنحوي أبي على الفارسي وقوم من الشعراء يحيطون به ويقولون: "تأولت علينا وظلمتنا!"، أي افتريت علينا ورويت عنا كذا زورا وبهتانا. ثم اذا جماعة من هذا الجنس، كلهم يلومونه على تأويله".

ثم هناك المقابلة مع حميد بن ثور. ثم الأبيات المنسوبة حتى الى الخليل بن أحمد، والتى يتبرأ منها الخليل:

ان الخليط تصدع

فطر بدائك أو قع...الخ

ثم سؤاله لامريء القيس عن التسميط (القيام بضم شطر من عنده الى شطر من قصيدة كتبها غيره) المنسوب اليه ببعض الأبيات فيقول امرؤ القيس: "والله ما سمعت هذا قط، وانه لفرى لم أسلكه، وإن الكذب لكثير. وأحسب هذا لبعض شعراء الاسلام، ولقد ظلمني وأساء إلى...يُقال لي مثل ذلك؟ والرجز من أضعف الشعر، وهذا الوزن من أضعف الرجز". فيُعجب ابن القارح من امريء القيس! ثم لقاؤه مع عمرو بن كلثوم، ومع أوس بن حجر. ثم يروي فى نفس الوقت للنابغة، ثم لقاؤه بالمهلهل وتأبط شرا وما يُروى عنه من نكاح الغيلان. فيقول تأبط شرا: "لقد كنا فى الجاهلية نقول ونتخرص (نكذب)، فما جاءك عنا مما ينكره المعقول، فإنه من الأكاذيب، والزمن كله على سجية واحدة". أي:

كذب الظن لا امام سوى العقل

مشيرا فى صبحه والمساء

تُرى كم يتبقى من تراثنا، وماذا يتبقى اذا حكمنا فيه العقل والفكر أحرارا من المحاذير والمخاوف والرواد ع والقيود والأوهام وأوثان العقل والوجدان والضمير؟

ثم يأتى لقاء ابن القارح بآدم وسؤاله له: "يا أبانا، صلى الله عليك، قد رُوى لنا عنك شعر منه قولك:

نحن بنو الأرض وسكانُها

منها خُلقنا، وإليها نعود

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

والسعد لا يبقى لأصحابه
والنحس تمحوه ليالي السعود

وهنا يتجلى منهج الشك عند أبي العلاء فى غاية قوته وسخريته، فحتى آدم لم ينج من المنسوب والمنحول والدخيل. هو أبو العلاء الذى يقول فى اللزوميات:

جائز أن يكون آدم هذا
قبله آدم على اثر آدم!

ويقول أيضا:

وما آدم فى مذهب العقل واحدا
ولكنه عند القياس أوادم!

والمهم أن آدم هذا يقول عن الأبيات المنسوبة إليه: "إن هذا القول حق، وما نطقه الا بعض الحكماء، ولكنى لم أسمع به حتى الآن".

فيقول ابن القارح: "فلعلك يا أبانا قلته ثم نسيت؟ فقد علمت أن النسيان مُتسرع إليك".

فيقول آدم: " أبيتم إلا عُقوقا وأذية! إنما كنت أتكلم العربية وأنا فى الجنة، فلما هبطت الأرض، نُقل لساني الى السريانية، فلم أنطق بغيرها إلى أن هلكت، فلما ردني الله، سبحانه وتعالى، إلى الجنة، عادت على العربية، فأى حين نظمت هذا الشعر: فى العاجلة أم الآجلة؟ والذي قال ذلك، يجب أن يكون قاله وهو فى الدار الماكرة، ألا ترى قوله (منها خُلقنا وإليها نعود) فكيف أقول هذا ولساني سرياني؟ وأما الجنة قبل أن أخرج منها، فلم أكن أدري بالموت فيها، وأنه مما حُكم به على العباد..وأما بعد رجوعي إليها، فلا معنى لقولي (وإليها نعود) لأنه كذب لا محالة!".

حجة قوية وعقلانية ومفحمة ولا نقض لها.

ويقول ابن القارح: "إن بعض أهل السير يزعم أن هذا الشعر وجده يعرُبُ فى مُتقدم الصحف بالسريانية، فنقله إلى لسانه، وهذا لا يمتنع أن يكون. وكذلك يروون لك صلى الله عليك لما قتل قابيل هابيل..ويذكر له بيتين منسوبين إليك فى ذلك..".
فيقول آدم: "أعزز على بكم معشر أبيني! إنكم فى الضلالة متهوكون! آليت ما نطقت هذا النظيم، ولا نُطق فى عصري، وإنما نظمه بعض الفارغين، فلا حول ولا

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

قوة إلا بالله!..كذبتم على خالقكم وربكم، ثم على آدم أبيكم، ثم على حواء أمكم، وكذب بعضكم على بعض!".

اذن..تُرى ما الذي خلا من الكذب والمكذوب فى الشعر الجاهلي والاسلامي وفى السير والروايات والأحاديث والأخبار؟! ألا يضع هذا حتى تراث أبي العلاء نفسه تحت مجهر الشك؟ لماذا يكون قد أفلت من الحبالة المحبوكة حول كل تراث؟! هذا سؤال نطرحه على سبيل الاحتياط وبمنهج الشك العلائي نفسه.

الشك بينهما

ثم ما الذي تبقى لمنهج الشك عند ديكارت وعند طه حسين؟ أليس أبو العلاء على حق حين يقول:

أرى هذيانا طال فى كل أمة
يضمنه ايجازها وشروحها

وحين يقول:

وخطوا أحاديثا لهم فى صحائف
لقد ضاعت الأوراق فيها وحبرها

وأخيرا، نقفز إلى رسالة ابن القارح نفسه فنراه يُلمح كثيرا لأبي العلاء بالمدسوس والمنحول والمصحف، الأمر الذي يستفيض أبو العلاء بعد ذلك فى تفصيله. يقول ابن القارح: "وسمعت قائلا يقول لغلام: يا رخمة، اقلعه وأسرع"، يعني ميزاب الكعبة. فعلمت أن أصحاب الحديث "صحفوه"، فقالوا: يقلعه غلام اسمه رخمة؛ كما صحفوا على على رضي الله عنه قوله: تهلك البصرة بالريح. فهلكت "بالزنج"!..ثم يُقدم لأبي العلاء ثبتا بكتب ومراجع مسروقة أو ضائعة أو مخبوءة يعالجها أبو العلاء أولا بأول فى رده على ابن القارح.

كما يحكي الأخير فى مطلع رسالته الحكاية التالية: "لقيت أبا الفرج الزهرجي بآمد ومعه خزانة كتبه، فعرضها على، فقلت: كتبك هذه يهودية، قد برئت من الشريعة الحنيفية، فأظهر من ذلك إعظاما وانكارا، فقلت له: "أنت على المجرب،

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

ومثلي لا يهرف بما لا يعرف". فقرأ هو وولده، وقال: "صغر الخبر الخبر" وكتب إلى رسالة يقرظني فيها..".

وهنا نذكر قول أبي العلاء:

كل الذي تحكون عن مولاكم

كذب أتاكم عن يهود يحبر

فاذا كان هذا مصير المقدسات، فما بالكم بغير المقدسات من الشعر الجاهلي والاسلامي؟!

ومن أين استقى طه حسين المنهج والشواهد والأدلة والبراهين والنتائج؟!

إن معاصري طه حسين الذين حملوا عليه حملتهم الشعواء كانوا يعلمون جيدا خطورة منهج الشك العلائي، لذلك مازالوا مصرين على أن يُحكموا حوله الحصار ميتا كما أحكم حوله حيا!!

****

المقالة الثالثة

منهج الديالكتيك العلائي بين المذاهب المثالية والمادية

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

"الفكر حبل متى يمسك على طرف

منه ينط بالثريا ذلك الطـرف"

أبو العلاء

رأينا فيما سبق أن أبا العلاء هو صاحب منهج الشك لا ديكارت ولا طه حسين ولا أحد قبله أو بعده. ورأينا كيف أنه لم يقصد إلى التشكيك في الشعر الجاهلي وحده ولا في التراث العربي عامة وانما قصد الى التشكيك فى التراث الانساني على الاطلاق..وفي كل شيء وبغير استثناء! ولا يمكن فهم منهجه فى الشك بدون فهم طبيعة تكوينه وطبيعة تركيبه النفسي وتركيبته الفكريه..أعني "فلسفته"..لأن منهج الشك لديه . كما سنرى . نابع من "موقفه الفلسفي"..من رؤيته للفكر وللوجودين الطبيعي والاجتماعي! وذلك بطريقة طبيعية وتلقائية ومنطقية إلى أبعد الحدود!

فما موقف أبي العلاء الفلسفي؟! ما هو مذهبه؟

يقول الرجل فى لزومياته:

إذا سألوا عن مذهبي فهو بين

وهل أنا إلا مثل غيري أبله؟

فهل صحيح أن الرجل أبله؟ أبو العلاء؟

انه هو نفسه الذي يقول:

عش بخيلا كأهل عصرك هذا

وتباله فان دهرك أبلـه

أى أن الرجل ليس أبلها وانما يتباله، وذلك على طريقته فى التمويه والمناورة لأمر فى نفس يعقوب!

ويقول:

ولما رأيت الجهل في الناس فاشيا

تجاهلت حتى ظُن أني جاهل!

للرجل اذن مذهب..؟! فما عساه يكون؟!

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

كان فلاسفة العصور الوسطى في أوروبا يقولون:

"آمن كى تعقل"..

فهل يقول أبو العلاء بالعكس تماما:

"اعقل كى تؤمن"

وكان ديكارت يقول:

"أنا أفكر اذن فأنا موجود"

فهل يقول أبو العلاء:

"أنا موجود اذن فأنا أفكر"

إنه الذي يقول:

كذب الظن لا إمام سوى العقل

مشيرا في صبحه والمساء

ويقول:

سأتبع من يدعو إلى الخير جاهدا

وأرحل عنها ما إمامي سوى عقلي

وليس في تاريخ الانسانية على الاطلاق. وأتحمل المسئولية عن هذا الكلام. داعية للعقلانية وتقديس العقل كأبي العلاء. انه ينصحك وبالحاح واصرار على أن تتبع عقلك دائما، وبألا تُعول على شيء مما قد "يخالف المعقول" على حد تعبيره فى رسالة الغفران!

اذن قد يتبادر إلى الذهن. على الفور. أن الرجل كان من الغلاة في الكفر، كما يتبادر إلى الذهن. وفي نفس الوقت. أنه كان من غلاة الايمان!

فاتباعه لعقله واتخاذه له اماما لا امام سواه يحتمل ضمنا أو صراحة أنه لا يمكن أن يؤمن قبل أن يعقل، بل لابد أن يعقل لكى يؤمن. وهذا بدوره يعني، ضمنا أو صراحة، أيضا، أنه لا يؤمن بعقل آخر . الله . فوق عقله أو فوق الوجود! ولكن هذا نفسه يحتمل ضمنا أو صراحة أيضا أنه لا يتخذ الايمان وسيلة للتعقل بل يتخذ التعقل وسيلة للايمان!

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

مُحير فعلا أبو العلاء..ولهذا اختلف فيه معاصروه ثم اللاحقون به، فذهب أغلبهم إلى أنه مغالي في الكفر، وذهب أقلهم إلى أنه مغالي في الايمان..وأولئك وهؤلاء ساقوا الحجج المقنعة والدامغة والتى لا تقبل النقض لاثبات ما ذهبوا إليه! وهذا الخلاف الشديد حول مذهب الرجل هو الذي سجله داعي الدعاة الفاطمي أبو نصر بن أبي عمران حين قرأ له بيته الشهير:

غدوت مريض العقل والدين فالقني

لتُخبر أنباء الأمور الصحائح

فكتب إليه فيما كتب يقول: ".ورأيت الناس فيما يتعلق بدينه مختلفين، وفي أمره متبلبلين. فكل يذهبُ فيه مذهبا، وحضرتُ مجلسا جليلا أُجرى فيه ذكره، فقال الحاضرون فيه غثا وسمينا، فحفظته فى الغيب".

على أن حيرة داعي الدعاة ومعاصرو أبي العلاء تتجلى أكثر في قوله: "..وابتدأ يقول . أى أبو العلاء . إني طلبتُ الرشد ممن لا رُشد عنده، وإن البيت الذي قال مما تعلقتُ به وجعلته محجة إلى استقراء طريقته ومذهبه، إنما أراد الإعلام باجتهاده فى التدين، وما حيلته فى الآية المنزلة: [من يهد الله فهو المهتد ومن يُضلل فلن تجد لهُ وليا مُرشدا]. فجمع بين المتضادين في كلمة واحدة. إنه إن كانت الآية حقا كان الاجتهاد باطلا"!

والحق أن داعي الدعاة معذور في حيرته، فاذا كان أبو العلاء يعلم بالأمور الصحائح في العقل والدين فكيف يدعى أن لا رشد له. واذا كان لا رشد له فكيف يدعي أنه يعلم بها؟!

واذا كان له رشد فلماذا يدعي أنه لا يعلم. واذا لم يكن له رشد فكيف يدعي أنه يعلم؟! لهذا يستطرد داعي الدعاة فيقول: ".إن لله . سبحانه . أسرارا لا يقفُ عليها إلا الأولياء، فنحن على ذلك السر ندور، وعلى باب من هو عنده نطوف. فإن قلنا إنه حرسه الله . يقصد أبا العلاء . من أصحابه بدعوى صحته فى دينه وعقله، ومرض الناس على موجب قوله، قال: لا رُشد عندي، فنظمه في هذا المعنى يناقضُ نثره، ونثره يخالف نظمه، فكيف الحيلة؟!".

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

اذن أدرك داعي الدعاة التناقض الشديد في أقوال أبي العلاء الشعرية والنثرية. وهذا التناقض هو الذي فتح باب الخلاف الشديد حوله . على مصراعيه . أمام معاصريه واللاحقين به.

وهنا نلفت النظر إلى أن أبا العلاء يؤكد لداعي الدعاة فى رسالته "اجتهاده فى التدين"! مما يعني أنه مؤمن بالله ومجتهد فيه!

ولكن الرجل نفسه هو الذي يقول فى اللزوميات:

اثنان أهل الأرض ذو عقل بلا

دين وآخر دين لا عقل له

وهذا يعني أن العقل يلغي الدين، وأن الدين يلغي العقل! واذا صح أنه كان "مجتهدا فى التدين" . كما يدعي . فمعنى هذا أنه لم يكن يتبع عقله ولم يكن يتخذه اماما لا امام سواه، ولم يكن من دعاة العقلانية. وانه يتبع مبدأ فلاسفة العصور الوسطى . اللاحقين به . آمن كى تعقل!

واذا صح أن الرجل لم يكن "مجتهدا فى التدين" كما يدعي، فمعنى هذا أنه كان يتبع عقله ويتخذه اماما لا امام سواه وأنه كان من دعاة العقلانية ومن أتباع مبدأ "اعقل كى تؤمن"!

فياليت شعري ما الصحيح! على حد تعبير أبي العلاء نفسه!

مرة ثانية أين يقف الرجل؟!

إن الدين شيء، والايمان شيء آخر، كما يؤكد القرآن: [قُل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم]. وهذه نقطة في صالح أبي العلاء، لأنه يمكن أن يكون غير متدين ويظل مع ذلك محتفظا بنعمة الايمان، فيكون له عذر في أن يقول:

أفيقوا أفيقوا يا غواة فانما

ديانتكم مكر من القدماء

هذا يؤكد أنه غير متدين، فضلا عن "الاجتهاد فى التدين" الذى يدعيه..أى كافر! ولكنه يُحتمل أيضا أنه يكفر بالأديان ولكنه يؤمن بالله! ويُحتمل أخيرا أنه غير متدين وغير مؤمن.....

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

فما هو الصحيح؟!

المعروف أن ماركس قال عن منهج هيجل الديالكتيكي: "لقد كان الهرم مقلوبا فعدلته"..أى كان يقف على قمته فأعاد قلبه ليقف على قاعدته. وأنه قصد بذلك الى أن منهجه الديالكتيكي هو معكوس منهج هيجل، وهو نفس المنهج ولكنه نقيضه في وقت واحد؟ والمعروف أن منهج هيجل منهج مثالي، وهو مثالي لأنه يبدأ من نقطة انطلاق هي أسبقية "الفكر" على "الوجود". وتترتب على نقطة الانطلاق هذه نتائج لا حصر لها فى الفكر وفي الوجودين الطبيعي والاجتماعي. والمهم بالنسبة الينا هنا أن أسبقية الفكر على الوجود تعني حتمية وجود "عقل" فوق هذا الكون..هو العقل الأكبر..هو الله!

فاذا جاء ماركس وقلب هذا المنهج..أو اذا كان الهرم بهذا الشكل واقفا على قمته وقلب ماركس الهرم المقلوب..فان معنى هذا أن منهج ماركس منهج مادي وهو مادي لأنه يبدأ من نقطة انطلاق اخرى أو مناقضة تماما لنقطة انطلاق هيجل ألا وهي أسبقية الوجود على الفكر. وعلى هذه النقطة بدورها تترتب نتائج أخرى مغايرة ومناقضة لنتائج منهج هيجل في الفكر وفي الوجودين الطبيعي والاجتماعي..والمهم بالنسبة إلينا هنا . أيضا . أن أسبقية الوجود على الفكر تعني عدم امكان وجود "عقل" فوق هذا الكون..عقل أكبر..هو الله!

كل المذاهب الفلسفية منذ كانت هناك فلسفة وتفلسف وفلاسفة تنقسم إلى هذين المعسكرين المتضادين دائما..إلى مثالية ومادية،وذلك وفقا لنقطة الانطلاق..أسبقية الفكر على الوجود أم أسبقية الوجود على الفكر.

وهناك مذاهب فرعية تقف موقفا توفيقيا بينهما، فتقول بوحدة الوجود . الفكر، أو وحدة الفكر . الوجود. وهذه بدورها تقف في النهاية إلى جانب أحد المعسكرين: المثالي أو المادي، مهما ادعى بعضها حياده التام بين المعسكرين وأنكر نسبته إلى أحدهما.

والآن..أين يقف أبو العلاء؟! ومن أين ينطلق؟ أمن الموقف المثالي أم المادي أم التوفيقي؟! من أسبقية الفكر على الوجود أم أسبقية الوجود على الفكر أم وحدة (الوجود . الفكر) (الفكر . الوجود).

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

إن عقلانية الرجل التى لا حد لها لا تقبل امكان وجود عقل فوق هذا الوجود. وهذا ما تدلل عليه ألوف الشواهد من أقواله النثرية والشعرية! ولكن ايمان الرجل الذي لا حد له لا يقبل امكان وجود "وجود" بدون وجود "عقل" من فوقه! وهذا أيضا ما تُدلل عليه ألوف الشواهد من أقواله النثرية والشعرية!

هنا نقف لحظات أمام ثلاثة أبيات لأبي العلاء حدث بالنسبة لهما لبس كبير بالنسبة للقدماء والمحدثين! فهما يُساقان . كحجة قوية . على الحاد الرجل..ويُساقان كحجة قوية أيضا على شدة ايمانه:

قلتم لنا خالق حكيم

قلنا صدقتم كذا نقول

زعمتموه بلا مكان

ولا زمان ألا فقولوا

هذا كلام له خبيء

معناه ليست لنا عقول

والمعسكران المختلفان يحتجان معا وفى وقت واحد بهذه الأبيات الثلاثة! فهي تعني أن أبا العلاء يقول بأن لله مكانا وزمانا وينكر على مخالفيه أن يقولوا عكس ذلك، بأنه خارج كل مكان وكل زمان!

ولكن تصور إله له زمان ومكان لا يمكن أن يكون اعترافا بوجود إله..بل هو يلغي وجوده ويلغي ضرورته للوجود..أى للمكان والزمان! من هنا كان المعسكر الذي يقول بالحاد الرجل وكفره وزندقته على حق تماما فيما يذهب إليه. لأن ما هو داخل الزمان والمكان لا يمكنه أن يكون هو نفسه هو خالق الزمان والمكان..العقل الأكبر..الله!..ثم لا يمكن تصور أنه داخل المكان والزمان وخارجهما في نفس الوقت!

والآن دعونا نقرأ الأبيات الثلاثة السابقة مرة ثانية على التالي:

"قلتم: لنا خالق حكيم..

قلنا: صحيح..كذا نقول..ذلكم..لنا خالق حكيم..

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror

http://www.facebook.com/naguib.soror

زعمتموه بلا مكان ولا زمان! الضمير هنا يعود على من؟! زعموا من..؟!

زعمتم خالقكم! أما خالقنا فليس له مكان أو زمان"

أى أن الحديث يجري هنا عن إلهين لا عن إله واحد. عن إلههم، وعن إله أبي العلاء. أما إلههم فله مكان وله زمان، وهذا ما يعلمه أبو العلاء. وأما إله أبي العلاء فليس له مكان ولا زمان لأنه خالق المكان والزمان وخارجهما. إذن حدث اللبس لأن الظن تبادر إلى أن أبا العلاء يتحدث عن إلهين..لا عن إله واحد..إنها على ذاتها "لكم دينكم ولى دين" الواردة في القرآن. والدين هنا ليس الدين بالمعنى الحرفي وانما بمعنى الايمان!

ولكن من هم الذين يخاطبهم أبو العلاء؟!

إنهم أولئك الذين لا دين لهم..لا ايمان..لا إله؟!

ولكن كيف يكونون كذلك ثم يظل لهم خالق حكيم..أى إله..أى دين..أي ايمان؟!

انظروا إلى مدى التناقض..؟!

فهل معنى هذا ان أبا العلاء يقول بإلهين..أو بتعدد الآلهة..لكم إله ولى إله آخر والسلام؟! إن معنى هذا أن الرجل كان وثنيا..لا ملحدا ولا زنديقا ولا كافرا فحسب، وهذا أكثر بشاعة وأكثر تناقضا وأكثر مبعثا للحيرة!

أم أنهم هم الوثنيون الذين يعبدون إلها له زمان ومكان، وإن زعموا أنه بلا زمان ومكان؟!

فمن هؤلاء الوثنيون وما إلههم؟! هذا ما يبدو أن أبا العلاء على علم تام به!..على علم بخبىء كلامهم ومزاعمهم.ولو صدق مزاعمهم أو صدقناها نحن لكان معنى هذا فعلا أن "ليست لنا عقول"، ولكن لنا عقولا بلا شك. ويعني هذا أننا لا يمكن أن نصدق تلك المزاعم ولو اتخذت شكل الايمان بإله خارج المكان والزمان. لأننا نعلم خبىء تلك المزاعم، نعلم انها معكوس ما تقولون.

أما من هم؟! ومن إلههم؟! فليست هذه مهمتنا الآن. أبو العلاء. كما سنرى فى مكان آخر. قد كشفهم وكشف إلههم وخبيئهم بما كان يجب ألا يدع مجالا للحيرة أمام معاصريه واللاحقين به...أما القدماء والمحدثين والمعاصرين لو قرأوا الرجل

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror

http://www.facebook.com/naguib.soror

جيدا ومرارا وفهموه على الوجه الصحيح! ولكن.. ما الحيلة فى عمى البصر، وما الحيلة في حسن النية، أو سوء النية الذي ترتب عليها الافتراء على الرجل منذ أكثر من ألف عام؟!

إن عقل أبي العلاء لا يمكن .بطبيعته . أن يقبل بأسبقية الوجود على الفكر..إذ لابد أن يكون هناك خالق حكيم:

عجبي للطبيب يلحد في الخالق

من بعد درسه التشريحا!

نعم إن كل شيء فى هذا "الوجود" يثبت ويؤكد أن وراء هذا الوجود عقلا أكبر من أن يُحيط به العقل الانساني. هو عقل موجد..خالق للوجود. إن الوجود في حاجة إلى "شيء" يفسره! في حاجة إلى علة أو إلى سبب أول..إلى عقل أكبر..إلى إله.

ولكن عقل أبي العلاء من ناحية مقابلة وبطبيعته أيضا لا يمكن أن يقبل بأسبقية الفكر على الوجود..لأن هذا الفكر يحتاج بدوره إلى وجود سابق عليه. نعم إن العقل والمنطق . الانسانيين . يثبتان ويؤكدان ويحتمان أن يكون وراء هذا العقل الأكبر وجودا أكبر من أن يُحيط به العقل الانساني! هو وجود موجد للعقل..إن الوجود فى حاجة إلى "شيء" يفسره.في حاجة إلى علة أو إلى سبب أول..! وهكذا سيستمر الدور إلى ما لا نهاية!

وفي الحالتين هو أمام طريق مسدودة..أو دائرة مغلقة!

هل يسبق الفكر الوجود؟! هذا مستحيل عقلا..

هل يسبق الوجود الفكر؟! هذا أيضا مستحيل عقلا..

هل الاثنان شيء واحد؟! هذا ثالث المستحيلات؟!

هل ثمة شيء يتجاوز الوجود والفكر معا؟! هذا رابع المستحيلات، فضلا عن أن هذا التجاوز المستحيل لو أمكن . فرضا . لكان معناه حتمية أسبقية الفكر على الوجود وفي نفس الوقت أسبقية الوجود على الفكر. وهذا خلف..أو دور..أو سباق في طريق مسدودة أو سقوط في دائرة مغلقة أو مجرد هذيان!

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror

http://www.facebook.com/naguib.soror

والحق أن العقل الانساني إذا تجاوز نفسه فرضيا إنما يكون قد ألغى وجوده، لأن حتمية وجود العقل هي نفسها حتمية وجود الوجود. وهو اذا تجاوز وجوده فانما يكون يكون قد ألغى نفسه، لأن حتمية الوجود هي نفسها حتمية وجود العقل؟!

لم يعد هناك غير الفرار من العقل ومن الوجود معا:

وهل يأبق الانسان من ملك ربه

فيخرج من أرض له وسماء؟!

إن هذا هو خامس المستحيلات!

حيرة..بل الجحيم بعينه..وخصوصا بالنسبة لعقل كعقل أبي العلاء؟!

لم يبق أمام أبي العلاء إلا التمرد..على الفكر وعلى الوجود معا..على الأسبقية الحتمية . عقلا للفكر، والأسبقية الحتمية . عقلا للوجود..على المثالية وعلى المادية في وقت واحد، وان لم يكونا معروفان، بهذا المصطلح، على عهده فى القرن الرابع الهجري! ولكن إلاما يُفضي هذا التمرد وما معناه وكيف يمكن أن يكون؟! لم يبق إلا أن يكون هو نفسه "العقل"، وهو نفسه "الوجود"، وهو نفسه الذي يتجاوز العقل والوجود، هو الله!

وأشهد أني بالقضاء حللتها

وأرحل عنها خائفا أتأله

قد يتبادر إلى الذهن هنا أن الرجل يوشك أن يدعى الألوهية وأنه فقط يخشى مغبة الادعاء.خاصة وأن قتل المتنبي ليس عنه ببعيد، وأكثر خصوصا أنه كثيرا ما سجل بالغ حبه للمتنبي وبالغ اعجابه به. وكثيرا ما استشهد بأقواله، ثم هو محيط كل الاحاطة بأخبار من سلفه من المتنبئين والمتألهين .كما عددهم في رسالة الغفران . ويعلم جيدا المصائر الغامضة التى انتهوا إليها. ثم إذا كان هذا ما لقيه المتنبي . مثلا . من مصير السجن ثم القتل، فما عساه يكون مصيره هو اذا ادعى الالوهية؟! هو شديد الاحتياط لنفسه مفرط فى الحذر وأزكى من أن يسلم نفسه هكذا بكل بساطة إلى "أعدائه"!! ثم أن البيت السالف يثبت أن الرجل لم يكن ملحدا ولا زنديقا ولا وثنيا ولا مؤمنا ولا شيء البتة من هذا القبيل..وإنما كان بكل بساطة مجنونا...وقصارى القول فيه أنه مجنون والسلام! ولكن كيف يتورط في هذا الجنون هو الذي سخر من جميع

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

المتنبئين والمتألهين، بما في ذلك المتنبي، في رسالة الغفران وأدانهم جميعا بقسوة واتهمهم بالجنون؟!

ليس الجحيم إذن هو الذي يعتمل فى عقل ووجدان أبي العلاء، وهو شاعر فيلسوف وفيلسوف شاعر، وانما ما هو ألعن من الجحيم..فهل ثمة ألعن من الجحيم؟!

لم يعد أمامه سوى الموت، لذلك فكر فى الموت كثيرا وطويلا ومرارا، وما أكثر ما تمناه:

من باعني بحياتي ميتة سُرُحا

بايعته وأهان الله من ندما

ولكنه هو نفسه الذي يقول أيضا:

ونومي موت قريب النشور

وموتي نوم طويل الكرى

أي أنه يؤمن بأن ثمة حياة أخرى! وما دامت هناك حياة أخرى فمعنى هذا أنه مؤمن بأن ثمة إلها! فالمصيبة أن تمنى الموت هو دليل على الايمان بالله بقدر ما هو دليل على الكفر بالله..[فتمنوا الموت إن كنتم صادقين].

وفرق كبير بين أن تتمنى الموت لكي لاتطالع وجه الله وأن تتمناه لكي "تأبق" أو تفر من أرضه وسمائه! في الحالة الأولى هو الشوق والحب والرضا والطمأنينة، أما في الحالة الثانية فهو الضيق والكفر والتمرد على إرادة الله، "قل يا عبادي الذين آمنوا لا تقنطوا من رحمة الله"، وقد رأينا كيف أنه يعاني فى الحالة الثانية..القنوط!

لذلك فكر كثيرا وطويلا فى الانتحار وذكر ذلك فى رسالة الغفران: "..قد كدت ألحق برهط العدم، من غير الأسف ولا الندم، ولكنما أرهب قدومي على الجبار، ولم أصلح نخلي بإبار. وقيل لبعض الحكماء: إن فلانا تلطف حتى قتل نفسه..وكره أن يمارس بدائع الشرور، وأحب النقلة إلى منازل السرور. فقال الحكيم قولا معناه: أخطأ ذلك الشاب المقتبل..هلا صبر على صروف الزمان..فانه لا يشعر علام يقدم!!

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

هذا الاعتراف لايدع مجالا للشك فى أن الرجل مؤمن بالله ويرهب قدومه عليه بغير عمل صالح. أى أنه لم يكن ملحدا ولا زنديقا ولا كافرا ولا وثنيا، ويعني أيضا أنه لم يكن مجنونا كما أضفنا منذ قليل! ثم هو هناك "خائف" أن يتأله! فهل كان خائفا . فقط . من مصير المتنبئين والمتألهين كما ظننا أم كان خائفا من . أساسا . قدومه على الله مدعيا الألوهية؟! وإذا كان يخشى الله فكيف يدعي الألوهية؟! وإذا كان يدعي الألوهية فكيف يخشى الله؟!

إنها لعنة..وليست مجرد جحيم!

ولكن الرجل يستشهد في رسالة الغفران بقول الضبي:

ولقد علمت بأن قبري حفرة

ما بعدها خوف على ولا ندم

الموت إذن يضع حدا للخوف؟!

ألأن الموت نهاية كل شيء؟! إن معنى هذا أنه لا يؤمن بالبعث ولا الخلود في حياة أخرى وبالتالي لا يؤمن بالله..فكيف يستقيم هذا . منطقيا . مع خوفه من القدوم على الجبار فيما لو انتحر أو مع خوفه من الناس والله فيما لو ادعى الألوهية؟! ثم كيف يستقيم هذا مع قوله هو نفسه!

خلق الناس للبقاء فضلت

أمة يحسبونهم للنفاد

إن هذا يعني أنه يؤمن بالبعث والخلود فى حياة أخرى وبالتالي يؤمن بالله! ويُدين من لا يؤمنون بما يؤمن به بالضلال!

أنظروا إلى الأرجوحة المترددة بين الجحيم والجحيم..بين اللعنة واللعنة..بين النقيض ونقيض النقيض؟! فهل كتب ما كتب لكي يضعنا على كف هذه الأرجوحة؟! إنه يعبث..يعبث بنفسه وبنا وبكل شيء..وبالوجود والفكر على السواء! ولا يفعل هذا إلا مجنون..نعم إنها هستيريا..حمى لعينة..لا عقل ولا فكر ولا فلسفة ولا منهج ولا مذهب ولا شيءعلى الاطلاق..هذيان في هذيان ليس غير! خصوصا وهو القائل:

أرى هذيانا طال في كل أمة

يضمنه ايجازها وشروحها

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

إذن كل ما قاله الأولون وكل ما قاله هو أو سيقوله اللاحقون به..مجرد هذيان لا معنى له ولا غاية ولا جدوى منه..باطل الأباطيل..الكل باطل..

فهل كان الرجل عدميا؟!

هناك ألوف الأدلة أيضا على أنه كان كذلك، وألوف أخرى . مثلها . على أنه لم يكن كذلك؟ إنه يصبح بذلك فى نظرنا مجنونا، مجنونا والسلام! فإذا عدنا إلى رسالة الغفران وجدنا الرجل يقول: "والتأله موجود في الغرائز..ويلقنُ الطفل الناشيء ما سمعه من الأكابر، فيلبث معه في الدهر الغابر، والذين يسكنون في الصوامع، والمتعبدون في الجوامع، يأخذون ما هم عليه كنقل الخبر عن المُخبر، لا يميزون الصدق من الكذب لدى المعبر، فلو أن بعضهم ألفى الأسرة من المجوس لخرج مجوسيا..واذا المعقول جُعل هاديا، نقع بريه صاديا، ولكن أين من يصبر على أحكام العقل..؟ هيهات!".

هل معنى هذا أن التأله غريزة؟!

إذن فأبو العلاء لم يتبع إلا غريزته حين أوشك أن يدعي الألوهية، فالألوهية هنا ليست مدعاة! الرجل إذن طبيعي وعاقل ومنطقي مع الطبيعة، وليس مجنونا..

وهكذا عدنا إلى الناحية المقابلة أو المضادة من حركة الأرجوحة! أم يعنى أبو العلاء أن "التأله" أمر يلقنه الكبار للطفل فيلبث معه ويشيب عليه؟!

إذن كيف يكون موجودا "في الغرائز"؟! ثم هذا التأرجح المستمر من النقيض إلى النقيض..ومن الجنون إلى غاية العقلانية وقمة العبقرية..أليس فى حد ذاته جنونا وعبثا وهذيانا وعدمية وحمى جهنمية يبدو ألا نهاية لها ولا شفاء ولا نجاة منها ولا جدوى على الاطلاق ولا علاقة لها بالوجود ولا الفكر ولا بأي شيء؟! مهلا..كأنك لا تستطيع مع أبي العلاء صبرا..

ولم يستطيع الصبر معه القدماء والمحدثون والمعاصرون! فصبر جميل!

إن كلمة التأله لا تعني فقط . من الناحية المعجمية . "ادعاء الألوهية"، وانما تعني أيضا (التوحيد)! والرجل يقصد أن التوحيد غريزة في الطفل وأن ما يلقنه من الكبار هو الذي يقطع الطريق على هذه الغريزة ويصرف الطفل عن طريق الايمان! لا أن "ادعاء الألوهية" غريزة في الطفل يلقنها عن الكبار..فالتلقين ينفي إمكان أن

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

يكون إدعاء الألوهية "غريزة"! نعم إن فينا نزوعا فطريا وغريزيا وعفويا وتلقائيا إلى الله..لأننا في حاجة إليه..ولأن الوجود والفكر معا في حاجة إليه. أما إدراكه والاحاطة به وتجاوزه فمما لاقبل للعقل الانساني به. والعقل الانساني عاجز عجزا مطلقا عن هذا بحكم محدوديته. إنه لا يستطيع أن يتجاوز نفسه، ولكنه قادر أيضا قدرة مطلقة لأنه يستطيع أن يتجاوز نفسه! إنه لا يستطيع أن يجعل من نفسه موضوعا للادراك، هذا حق. ولكنه يستطيع أن يجعل من كل شيء في الوجود موضوعا للادراك أو لامكان الادراك!

ولهذا تجاوز أبو العلاء نفسه!..ولم يتجاوزها في وقت واحد. وتجاوز الديالكتيك المثالي والمادي معا، ولم يتجاوزهما في وقت واحد وهذا هو الديالكتيك ذاته..وهو ديالكتيك أبي العلاء. ويجب أن نبحث عنه فى التركيبة العقلية والنفسية للرجل، لأن الديالكتيك هو غريزة الغرائز في هذه التركيبة النادرة والمستقرة والمتميزة والعبقرية! إنه يضاد بين النقائض ويوحد بينها ويبادل بعضها بالبعض ويوفق بينها، ثم يخرج من هذا بمحصلة يخرج بعدها بنقيض المحصلة إلى نقيض النقيض وهكذا إلى مالا نهاية!.. ولا يمكن فهم الرجل بدون فهم الديالكتيك العلائي هذا المتميز عن جميع المذاهب المثالية والمادية جميعا، وعلى مدى تاريخ الفكر الانساني منذ أقدم العصور حتى وقتنا الحاضر. أبو العلاء إذن هو صاحب المنهج الجدلي ومؤسسه، لا هيجل ولا ماركس ولا أحد من قبل ولا من بعد! من هنا صار هو كما صير الآخرين! لأن ما كان يعتمل بداخله أشبه بما يعتمل بجوف الشمس..انفجارات وانقسامات واتحادات ذرية تخرج منها انفجارات وانقسامات واتحادات أخرى..وهكذا إلى ما لا نهاية! من ثم أجبره عقله ذاته . وللمره الأولى والأخيرة. على أن ينزل على العقل أمام جميع المستحيلات العقلية والمنطقية فيتورط في المغامرة والمساومة والتنازل بل والاستسلام التام، فيقول:

قال المنجم والطبيب كلاهما
لا تُحشر الأجساد قلت: إليكما
إن صح قولكما فلست بخاسر
أو صح قولي فالخسار عليكما

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

إنه التورط الملحمي، والبطولي، والتراجيدى في نفس الوقت..إنها سيمفونية ناجحة حقا، ولكنها نبيلة ورائعة وشجية ومثيرة للإعجاب وباعثة على الفرح..بل نشيد الانشاء الجديد لمجد العقل الانساني..فلا نامت أعين الجهلاء!!..

نعم يا أبا العلاء:

.تفكر فقد حار هذا الدليل
وما يكشف النهج غير الفكر
.فكروا فى الأمور يُكشف لكم
بعض الذي تجهلون بالتفكير!

****

المقالة الرابعة

الفكر والشعر في منظور أبي العلاء المعري

"واسروا على الخيل العتاق واصمتوا
نواطقــها ألا تحمحم هائب
وشد لسان الطرف خوف صهيلـه

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

فقد ألجموا أفواهها بالسبـائب!"

أبو العلاء

لأبي العلاء كلام في "الخيول" أكثر مما قاله المتنبي وأبو تمام وغيرهما إلى الملك الضليل امرئ القيس! وخاصـة في مقدمتي ديوانيه (سقط الزند) و (لزوم ما لايلزم)، وهو يرتب مراتب الخيول على بحور وأوزان وقوافي الشعر العربي! فلم يكن الرجل، وفي (لزوم مالا يلزم) بالذات، معنيا بترتيب أوزان وقوافي الشعر العربي بقدر ما كان معنيا بتصنيف وتصفيف "الخيول العربية" أي الفرسان العرب من أنصاره ومريديه وأعضاء حزبه الباطني السري الذي تفرغ له في منفاه الاختياري "المعرة"، بعد أن رفض جميع الأحزاب والمذاهب والاتجاهات والحركات السرية والعلنية، ولذلك راح يقول بالرمز وبالمصطلحات الشرطية: أما بعد، فإن الشعراء كأفراس تتابعن في مدى (غاية)، ما قصر منها سُبق، وما وقف ليم ولُحق".

ويقول صاحب "شرح الند على سقط الزند" انه شبه حال الشعراء في المشاعرة والمباراة في إنشاء الشعر بخيل أرسلت في حلبة السباق، متتابعة بعضها في اثر بعض، متوجهة إلى غاية نصبت لها وقد اختلفت مناصبها، فهو المجلي وهو السابق الحائز قصب السبق.

واضح أن أبا العلاء وأن الشارح لسقط الزند لا يتحدثان عن الشعر وعن الخيول بما هى، وإنما يتحدثان عنها حديثا رمزيا اصطلاحيا شرطيا شفريا يقصدان به في الظاهر أشياء وفي الباطن أشياء أخرى هى . أي ما هو في الباطن. التنظيم والتشكيل والتجميد والحشد على مراتب ودرجات وفئات لحزب أو لحركة سرية باطنية بديلة للحركات الباطنية التي كانت سائدة في القرن الرابع الهجري وفيما قبله وفيما بعده حتى كتابة هذه السطور.

لماذا الهجوم؟

إذن ماذا عسانا أن نبغي عند أبي العلاء غير اللغة والنحو هو المتهم منذ أكثر من ألف عام بأنه ملك التشدق باللغة وبالنحو من قبل اللغويين والنحويين؟ هذا

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror

http://www.facebook.com/naguib.soror

ما يلفت الرجل نظرنا إليه ويحذرنا منه، خاصة وأنه قد أضاف في مقدمة اللزوميات . فيما أذكر . أنه كتب اللزوميات على معجم العامة لا على معجم العلماء، مما يوحي بأن لأبي العلاء معجما خاصا شرطيا ورمزيا واصطلاحيا وهو معجم العلماء، ومما يوحي في نفس الوقت بأن الرجل لا يقصد ما يقوله في الظاهر وإنما يقصد العكس والعكس تماما. إن الرجل يقول:

ولحبر اليهود في درسه التو

راة فن والهم في التدبيل

فهو يدعوك بهذا إلى أن يكون لك أيضا فن في دراسة تراثك وتراث أعدائك والتراث الإنساني كله بما فيه تراث أبي العلاء نفسه، أو أن تكتشف (الفن) الذي يدرس به الآخرون أي تراث. الرجل إذن يعطيك سره حين يعطيك سر الآخرين ويعطيك المفتاح إلى عالمه الشفري السري الباطني كما أن عوالم الآخرين منذ أقدم العصور حتى ما بعد أبي العلاء بأكثر من ألف عام!!

لابد أن يكون القراء قد وقفوا طويلا أو قصيرا أمام هجوم ياقوت على أبي العلاء واتهامه له . هو المفترى عليه . بالتشدق باللغة، وهو أول من تبرأ من هذه التهمة بلسانه الصريح المباشر تارات وبلسانه الباطني غير المباشر تارات أخرى!

ولا يمكن أن نتصور أن ياقوت لم يفهم أبا العلاء ولم يع قاموسه السري!.. إذن لماذا كان الهجوم، واضح أن ذلك كان على سبيل التنكر والحيطة والتحفظ والحذر، إذ من الواضح أن السيوف التي كانت مشرعة على رقبة أبي العلاء كان يمكن أن تُشهر على رقبة كل من يتعاطف مع أبي العلاء أو يبدي بادرة من تعاطف، لذلك لا نرى هجوم ياقوت على أبي العلاء إلا في ضوء الظاهر والباطن أيضا، نزولا على قول أبي العلاء نفسه:

ودهاك من أمسي لذكرك شاهرا

حوار مع أبي العلاء

أنا: ما الروي يا أبا العلاء؟!

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror

http://www.facebook.com/naguib.soror

هو: فأما الروي فأثبتُ حروف البيت، وعليه تُبنى المنظومات. وهو يكون من أي حرُوف المعجم وقع إلا حروفا تضعفُ ولا تثبتُ. كألف الترنم، وواوه، وبائه، وهاء الوقف، وهاءات التأنيث إذا كان ما قبلها متحركا، والألفُ التي تلحق علما للتثنية في مثل. ضربا وذهبا، والواو التي تدل على الجمع إذا كان مضموما ما قبلها في مثال. ضربوا وقتلوا، وغير ذلك من الحروف، فان اتفق غير ما ذكرتُ فهو شاذ مرفوض!

أنا: إنني لم أفهم شيئا مما قلت، وسأدع هذا لمن قد يفهمون في العروض والقافية والروي أكثر مما أفهم

لا تعرف الوزن كفى بل غدت أذني

وزانة ولبعض القول مـيزان

ولكنى أسألك لماذا استهللت مقدمتك للزوم ما لا يلزم بقول الشاعر:

ولقاك العقوق من البنينـا

ثم أتساءل لماذا ضربت أول مثل بـ "ضربا وذهبا" وثاني مثل بـ "ضربوا وقتلوا"؟!..انك تضرب مثالا "للخروج" بقول الشاعر القديم:

في ليلة لا نرى بها أحدا

يحكي علينا إلا كواكبُها

الخروج إذن يعني الوعد والموعد والرجعة والظهور إلى العلن بعد الكمون الباطني الطويل، وبعد الثقة المطلقة في إمكانية النصر، وبعد أن تعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم..في ظل الصمت المقدس المتربص وفي ظل السكون المتحرك والتحرك الساكن!!

قل لي ماذا عن "التأسيس"؟!

هو: والتأسيس كقول القائل:

ألا يا ديار الحي بالأخضر اسلمي

وليس على الأيام والدهر سالمُ

أنا: قل لي بم تستشهد أقل لك من أنت!..أتراها مجرد أبيات عابرة على الخاطر بعد الضرب والقتل وخيانة الأم والدعوة عليها بالعقوق من البنين

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

والبنات..الأم الوطن..الأم الدار..الأم المغتصبة الأسيرة..الأم المكتوفة اليدين والرجلين.

هو: أنت مباحثي!

أنا: نعم.ولكن في التراث ودفاعا عن التراث، وخاصة أن شبابنا قد زهد في التراث، وخاصة وأن الهجوم قد اشتد هذه الأيام بالذات على التراث تمهيدا لسحب الأرض من تحت أقدامنا وجريا على عادة الاستعمار الاستيطاني!

اسرق تراث أي شعب تسرق ذاكرته، تسرق تاريخه، تسرق عقله، تسرق قدرته على التفكير في الحاضر والمستقبل، تسرق الأرض.

نص غريب

لم يكن أبو العلاء إذن معنيا .كما قلت .بالعروض والقافية واللغة والنحو، وإنما استخدم كل ذلك استخداما اصطلاحيا وشرطيا كان يفهمه عنه معاصروه ومريدوه وأنصاره خاصة! وعلى هذا الضوء تصبح مقدمة أبي العلاء للزوم ما لا يلزم أكثر خطورة وأهمية من الديوان نفسه. وبتخطي جميع الاستشهادات العلائية من الشعر والشعراء في المقدمة المذكورة، وبترك هذا عمدا إلى فطنة القارئ الذكي والمتواضع، نصل إلى قول الرجل في نهاية المقدمة: "وقد كنتُ قلتُ في كلام لي قديم: إني رفضت الشعر رفض السقب (ولد الناقة إذا ولدته وعُرف أنه ذكر) غرسه، والرأل (فرخ النعام) تريكته (البيضة)، والغرض ما استُجيز فيه الكذب واستعين على نظامه بالشبهات. فأما الكائن عظة للسامع، وإيقاظا للمتوسن، وأمرا بالتحرز من الدنيا الخادعة وأهلها الذين جبلوا على الغش والمكر، فهو إن شاء الله مما يلتمس به الثواب. وأضيف إلى ما سلف من الاعتذار أن من سلك في هذا الأسلوب ضعُف ما ينطق به من النظام، لأنه يتوخى الصادقة، ويطلب من الكلام البرة ولذلك ضعف كثير من شعر أمية ابن أبي الصلت الثقفي ومن أخذ بفريه من أهل الإسلام. ويُروى عن الأصمعي كلام معناه أن الشعر باب من أبواب الباطل، فإذا أريد به غير وجهه ضعُف، وقد وجدنا الشعراء توصلوا إلى تحسين المنطق بالكذب وهو من القبائح. وزينوا ما نظموه بالغزل وصفة النساء ونعوت الخيل والإبل وأوصاف الخمر. وتسببوا

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

إلى الجزالة بذكر الحرب. واحتلبوا أخلاق الفكر وهم أهل مقام وخفض في معنى ما يدعون أنهم يُعانون من حث الركائب، وقطع المفاوز، ومراس الشقاء"!!

انتهى نص أبي العلاء. نص غريب على كل الوجوه!

فهو يعني أن لأبي العلاء كلاما ضاع فيما ضاع أو سُرق أو خبيء من التراث العربي، ويعني أن أبا العلاء لا يؤمن بأن أعذب الشعر أكذبه على عكس الخطأ الشائع فى عصره وفي كل العصور، ويعني أن أبا العلاء يرفض شكل ومضمون القصيدة العربية فيصبح منظرا لحركة تجديد منشودة، ويعني أن أبا العلاء يعترض على الشكلية وان لم تكن "الشكلية" معروفة على عصره كمصطلح نقدي أو جمالي، ويعني أن أبا العلاء لا يتحدث عن الشعر على اطلاق وانما عن (الشكلي) منه، ويعني أنه لا يفهم امكانية التناقض بين القول والفعل وانما تطابق القول مع السلوك والنظر مع الممارسة والقول مع العمل. أما أن يكون الشاعر فارسا بالقول خائنا وجبانا بالسلوك فهذا ما لم يفهمه أبو العلاء وما لا يمكن لأبي العلاء أن يفهمه أو يتسامح فيه أو يقبل فيه المساومه والسمسرة والتجارة تحت السيوف المشرعة وفي ظلال غابات المشانق الجاهزة، هو الذي عاش ومات مدللا بما لايدع مجالا للشك على حتمية والزامية التطابق بين القول وبين العمل، أما التاريخ فحافل بالفرسان الكذبة فرسان اذا ما خلا الجبان بأرض!! ثم يعني النص أن أبا العلاء يتمرد على بناء القصيدة العربية التقليدي منذ العصر الجاهلي حتى القرن الرابع الهجرى، ويعني النص أن أبا العلاء يقف فى صف "الواقعية" وان لم تكن أخذت اسمها هذا على عصره، ويقف إلى جانب "العقلانية" في الشعر كما في كل شيء! ثم يدين الشعراء الكذبة وما كان أكثرهم ممن يدعون الفروسية ويحتلبون اخلاف الفكر ويزعمون أنهم يعانون من "حث الركائب وقطع المفاوز و مراس الشقاء"، وهم أبعد ما يكونون عن الفروسية وعن الركائب وعن المفاوز وعن الشقاء مما عاناه وعايشه طويلا أبو العلاء الشهيد، مسيح القرن الرابع الهجري وحسين القرن الرابع الهجري..نعم انهم اولئك الشعراء محض سماسرة وخونة ودسائس وتجار !!

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

لكن أغرب ما في النص الغريب قول أبي العلاء بأن من سلك فى الشعر أسلوب "الواقعية" و"العقلانية" والصدق "ضعُف ما ينطق به من النظام لأنه يتوخى الصادقة ويطلب من الكلام البرة"، ولذلك ضعف كثير من شعر فلان وعلان.

معنى هذا أن الشعر يضعف إذا غلب عليه الفكر، وأن الفكر يضعف إذا غلب عليه الشعر! ومعنى هذا أن الشاعر يصبح أقل شاعرية كلما كان أكبر فكرا، ويصبح أكثر شاعرية كلما كان أقل فكرا!!

الشعر والفكر

إلى أية نتيجة يسوقنا أبو العلاء الشاعر الفيلسوف والفيلسوف الشاعر، إلى التعارض الحتمي بين الشعر والفكر؟ إلى القطيعة التامة بين الفكر والشعر؟! ومن الذي يقول هذا؟! صاحب "سقط الزند"، الديوان الذي لا يرقى إلى قمته ديوان شعري آخر في تاريخ الشعر العربي من حيث الشعر والشاعرية والفكر، لا أستثني من ذلك ديوان المتنبي ولا ديوان أبي تمام ولا ديوان أبي نواس؟! ثم لماذا يا ترى رفض أبو العلاء الشعر . في كلام له قديم . "رفض السقب غرسه والرأل تريكته"، على حد تعبيره.

المصطلح السري

إذن ما الحكاية بالضبط؟!

لم يكن الرجل معنيا بالشعر والشاعرية أساسا فى لزوم ما لا يلزم . المقدمة والديوان . بقدر ما كان معنيا بالتفكير النظري وبالتخطيط والتدبير والتجنيد والحشد الوئيد الحذر الذي يصطنع الشفرة ويصطنع الرموز ويخلق المصطلح السري للحركة الجديدة!..ولم يكن ممكنا في عصر كعصر أبي العلاء أن يتم أي تحرك حقيقي على المستوى العلني، فلم يكن هناك مفر من التحرك على المستوى السري الباطني الساكن، خاصة حين اختلطت "الاتجاهات" وتضاربت "المذاهب" وتخبطت "الطوائف":

سكونا خلت أقدم من حراك

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

فكيف بقولنا حدث السكون؟

هنا نعود الى استشهاد أبي العلاء ببيت الشعر القديم السابق ذكره فى مستهل هذا الحديث:

في ليلة لا نرى بها أحدا

يحكي علينا الا كواكبُها

لهذا كان شاعرا ومفكرا من الطراز الأول في "سقط الزند"، وكان أقل شاعرية وأكثر فكرا في "لزوم ما لا يلزم"، ولكنه كان واعيا بموقفه فى الحالين.

أخيرا لا أدرى لماذا يمر بذاكرتي الآن قول الشاعر الشيلي "نيكانور بارا":

"لعله يجدر بي أن أعود إلى ذلك الوادي،

إلى تلك الصخرة التى كانت فى يوم من الأيام داري،

وأبدأ فأنقش من جديد،

من النهاية حتى البداية،

العالم..مقلوبا ومعكوسا"

ربما لأني تعبت! وربما لأننا نقول ما نعيد ونعيد ما نقول! وربما لأننا نعيش عصرا "مشرقا" إلى أبعد حدود "الاشراق"! لا كعصر أبي العلاء، ذلك العصر الضرير! وربما لأن أبا العلاء قال قديما:

ظلوا كدائرة تحول بعضها

من بعضها فجميعها معكوس

ثم يرد على خاطري وأنا أكتب، كالعادة، على سجيتى قول الشاعرة الأمريكية "ماري.أ.ايفانز":

"عندما أموت،

أنا متأكدة،

أنه سوف تسير خلفي جنازة كبيرة،

سيأتي المتطفلون،

ليروا ما إذا كنت حقيقة ميتة،

أم أننى أحاول أن أثير المتاعب!"

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

****

المقالة الخامسة

خصومة خسرها الأدب العربي

كنت أتمنى لو اصطدم العقاد بطه حسين أو طه حسين بالعقاد، إذن لأعطت المعركة بينهما الكثير من الثمار التى كان يمكن أن يفيد منها الأدب العربي الكثير. فلا شك أن الصدام بين عميدي الأدب العربي وبين رأسين كرأسي العقاد وطه حسين، كان سيُحدث ضجة لا يستطيع أحد أن يتنبأ بنتائجها. وثمة خصومة قديمة لم تُؤت ثمارها فى تاريخ الأدب العربي ألا وهي الخصومة بين أبي العلاء

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

المعريوداعي الدعاة، انسحب منها أبو العلاء العري لأسباب سياسية واتفق الطرفان على الصمت بعد جدل قصير، أو لعل ياقوت الراوي شاء أن يختصر الخصومة وأن يزعم أنهما اتفقا على الصمت. كم كانت هى الأخرى معركة مفيدة ومثمرة وخطيرة للنتائج.

رسالة الغفران

على أن الصدام بين العقاد وطه حسين كاد يحدث حين كتب العقاد عن الخيال في رسالة الغفران فقال: "..أما أن يُنظر إليها كأنها نفحة من نفحات الوحي الشعري على مثال ما نعرف من القصائد الكبرى التى يفتن فى تمثيلها الشعراء والقصص التى يخترعونها اختراعا، ويُنظر إليها كأنها عمل من أعمال توليد الصور وإلباس المعاني المجردة لباس المدركات المحسوسة، فليس ذلك حقا وليس فى قولنا هذا غبن للمعري أو بخس لرسالة الغفران، كلا ولا هو مما يُغضب المعري أن يُقال هذا القول في رسالته".

هذا فى نفس الوقت الذي يؤكد فيه العقاد: "ان رسالة الغفران نمط وحدها في آدابنا العربية وأسلوب شائق ونسق طريف فى النقد والرواية وفكرة لبقة لا نعلم أن أحدا سبق المعري إليها، اللهم إلا إذا استثنينا محاورات لوسيان فى الأولمب والهاوية، وفذلكة جامعة لاشتات من نكات النحو واللغة. ذلك تقدير حق موجز لرسالة الغفران".

طه حسين يخالف العقاد

واستفزت هذه الكلمة الدكتور طه حسين البارد الأعصاب، فكتب يقول: ".. ولكن الذى أخالف العقاد فيه مخالفة شديدة هو زعمه فى فصل آخر أن أبا العلاء لم يكن صاحب خيال حقا فى رسالة الغفران. هذا نُكر من القول لا أدري كيف تورط فيه كاتب كالعقاد. نعم ان العقاد كاتب ماهر يُحسن الاحتياط لنفسه، فهو بعد أن أنكر الخيال على أبي العلاء عاد فأثبت له منه حظا قليلا. ولكنه يستطيع أن يخدع بهذا الاحتياط قارئا غيري، أما أنا فلن أنخدع له، فهو ينكر على أبي العلاء أن يكون شاعرا عظيم الحظ من الخيال في رسالة الغفران، (سنة سودة) كما يقول

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

العامة. وهل يعلم العقاد أن دانتي إنما صار شاعرا نابغة خالدا على العصور والأجيال واثقا من اعجاب الناس جميعا بشيء يشبه من كل وجه رسالة الغفران هذه. استغفر الله ان من الأوروبيين الآن من يزعم أن شاعر فلورنسا قد تأثر بشاعر المعرة قليلا أو كثيرا".

العقلانية..والفنية!

والسؤال هو: ما مدى التوفيق الذي أصابه كل من العقاد وطه حسين في فهم رسالة الغفران؟ هنا نموذج لامكانية الصدام بين الطبيعة العقلانية للعقاد والطبيعة الفنية لطه حسين. ومهما يكن الأمر فان طه حسين فنان مفكر أكثر منه مفكرا فنانا، بينما العقاد مفكر فنان أكثر منه فنانا مفكرا. وأقرب الأشياء إلى الطبائع أن يفهم العقاد ما يعجز عنه طه حسين، مهما كانت الصلة النفسية والروحية بين طه حسين وأبي العلاء المعري. بل انى كثيرا ما أشك فى فهم طه حسين لأبي العلاء، وبالذات لرسالة الغفران، مع أن رسالة الغفران . وفي احدى فقراتها على التخصيص . تشكل المنبع أو الأصل الذي استقى منه طه حسين فكرته فى كتابه الشهير "فى الشعر الجاهلى". ومن السذاجة أن يُؤخذ عمى طه حسين واشتراكه معه فى محبسه أو محبسيه دليلا على قدرة طه حسين فى فهم أبي العلاء، فقد يشترك اثنان في عاهة دون أن يشتركا في الفكر.

إن قراءة واحدة لكتاب "صوت أبي العلاء" لطه حسين تدلل على أنه أبعد كثيرا من أبي العلاء فى الفكر وفي الطبيعة وفي الآفاق. لم يكن إذن طه حسين بأقدر على فهم أبي العلاء من العقاد العقلاني. ولا يمكن تخيل أن العقاد أخطأ فهم رسالة الغفران حيث نجح طه حسين. وفهم رسالة الغفران بالذات يحتاج إلى الطبيعة العقلانية لدى العقاد أكثر منه إلى الطبيعة الفنية لدى طه حسين، مهما كان القرب المزعوم لطه حسين من أبي العلاء المعري. على أن العقاد باعتراف طه حسين . لم ينكر تماما الخيال في رسالة الغفران، وانما أثبت لأبي العلاء . على حد تعبير طه حسين . حظا منه. إنما أنكر فقط أن تكون نفحة من نفحات الوحي الشعري، وهى فعلا ليست نفحة من نفحات الوعي الشعري التى يفتن فى تمثيلها، أي ليست

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

مسرحية كما أنها ليست قصة أو رواية. ولكن العقاد فى تعليقه الموجز على رسالة الغفران لم يقل لنا إذن ما هي. إنها ليست قصيدة من القصائد الكبرى (التى يفتن فى تمثيلها الشعراء)، وليست قصة. نعم، ولكن يا استاذنا العقاد ما هى وما عساها أن تكون؟ هنا، كأنما اتفق العقاد مع نفسه على الصمت الذى اتفق عليه داعي الدعاة وأبوالعلاء أو المؤرخ ياقوت لأسباب فى نفس العقاد أو في نفس أبي العلاء أو في نفس ياقوت أو فى نفس يعقوب! فما عساها تكون بواعث هذا الصمت؟

بواعث الصمت

لم يكن العقاد عاجزا عن الرد على طه حسين، خاصة وأن طه حسين أخطأ فهم العقاد وقوله مالم يقل. إذن لابد أن تكون بواعث الصمت لدى العقاد أقوى من بواعث القول والاضافة والشرح تماما، كبواعث الصمت لدى أبي العلاء، خاصة إذا تذكرنا أن أبا العلاء لم يكن يناقش داعي الدعاة بقدر ما كان ينسحب من المناقشة خطوة بعد خطوة فى كل مرة تجددت الرسائل بينهما. يريد للمناقشة أن تنتهي ويريد لنفسه النجاة من الفخ المنصوب له . فيما كان يُظن . ويريد لداعي الدعاة أن يتركه وحاله وألا يجره إلى حديث لا تُحمد مغبته خاصة وأن الظاهر أن داعي الدعاة قد أحسن فهم أبي العلاء. والدليل على ذلك أنه يخاطبه بقوله فى رسالته: "فاذن هو . حرسه الله . بمقتضى هذا الحكم مرتو من عذب مشرب هذا العلم وانما ليس يبوح به لضرب من ضروب السياسة، والدليل على كونه ناظرا لمعاده سلوكه سبيل العيش بالتزهد وعدوله عن الملاذ من المأكول والمشروب والملبوس وتعففه عن أن يجعل جوفه للحيوان مدفنا، أو أن يذوق من درها لبنها، أو يستطعم من طعام استُكدت عليه فى حرثه وانشائه".

هذا الضرب من ضروب السياسة الذي أشار إليه داعي الدعاة يدلل . كما قلت . على أنه أحسن فهم لغز أبي العلاء في "رسالة الغفران" أيضا وإن كان الحديث يجرى عن لزوم ما يلزم. وهو باعث الصمت الذى اتفقا عليه في النهاية، وهو نفسه باعث الصمت لدى أبي العلاء، وهو أخيرا السبب فى حرمان الأدب العربي من خصومة ثرية كان يمكن أن تنشأ بين العميدين العقاد وطه حسين. لقد استطاع طه

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

حسين أن يتكلم باستفاضة فنية، حيث عجز العقاد عن الكلام فى دروب السياسة التى تفتحها أمام القاريء . وخصوصا قاريء كالعقاد . رسالة الغفران. إذن فقد هرب العقاد من المناقشة كما هرب أبو العلاء مضطرا، لا عن عجز ، والدليل على هذا رد أبي العلاء حين يقول مخاطبا داعي الدعاة: "قال العبد الضعيف العاجز أحمد ابن عبد الله بن سليمان: أول ما أبدأ به، أني أعد سيدنا الرئيس الأجل المؤيد فى الدين . أطال الله بقاءه . ممن ورث حكمة الأنبياء، وأعد نفسي الخاطئة من الأغبياء.

وهو بكتابه إلى متواضع، ومن أنا حتى يكتب مثله إلى مثلي؟! مثله فى ذلك مثل الثريا كتبت إلى الثرى. وقد علم الله أن سمعي ثقيل، وبصري عن الأبصار نقيل. قُضى على وأنا ابن أربع، لا أفرق بين البازل (الجمل إذا استكمل الثامنة) والرُبع (الفصيل الذي ينتج في الربيع)، ثم توالت محني، فأشبه شخصي العود المنحني، ومنيت في آخر عمري بالإقعاد، وعداني عن النهضة عاد.

وأما ما ذكره سيدنا الرئيس الأجل المؤيد في الدين، فالعبدُ الضعيفُ والعاجز يذكر له مما عاناه طرفا، فأقول:

إن الله جلت عظمتُهُ حكم على بالإزهاد، فطفقت من العُدم في جهاد، وأما قول العبد الضعيف العاجز : غدوت مريض العقل والدين فالقني..، فانما خاطب به من هو فى غمرة الجهل، لا من هو للرياسة علم وأصل".

عمل سياسي

رسالة الغفران إذن عمل سياسي قبل أن تكون شيئا شيئا آخر والكلام فيها ضرب من ضروب السياسة وخوض فى صميمها فى كل عصر . ولقد قلت مرارا إنها برنامج سياسي أو خطة عمل، أو بالتعبير الحديث "مانفستو"، ومن هنا خطورتها وخطورة الحديث فيها. ومن هنا أيضا اتفاق كل من داعي الدعاة وأبي العلاء وياقوت على الصمت، ومن هنا أخيرا صمت العقاد عمدا عن الرد على طه حسين وهنا آخرا الفرق بين الطبيعة العقلانية والطبيعة الفنية حين تغلب الأولى الأخيرة أو العكس. وهنا يتجلى ظلم النُقاد للعقاد، وما أكثر المظالم التى تعرض لها العقاد حيا وميتا، ولكن هذا موضوع حديث آخر .

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

****

المقالة السادسة

حول رسالة الغفران لأبي العلاء المعري

لا يصح أن نقول: "وُلد أبو العلاء المعري عام كذا، وعاش كذا عاما، ومات في عام كذا"، فالمهم أن الرجل عاش فى النصف الثاني للقرن الرابع الهجري، والأهم أنه شغل الناس فى عصره وما يزال يشغلهم فى غير عصره منذ أكثر من ألف عام وحتى كتابة هذه السطور التى لم ولن تكون الأخيرة فيما يُكتب عن أبي العلاء. عاش عصرا مليئا بالاضطرابات والقلاقل والانشقاقات فى الدولة الاسلامية، مزدحما بحركات التمرد والخروج والثورة، مليئا بالهبات الشعبية الهائجة، حافلا بمصارع الملوك ومصارع الشعراء، ومصارع المفكرين والقادة والرواد، مصطرعا بالمذاهب المتعددة والمختلطة والمتضاربة والمتشابهة والمتناقضة فى جميع أنحاء العالم العربي.

ماذا بقي له مجالا للاختيار سوى الاعتزال؟

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

ولقد استغرقه هذا الموقف، موقف المعتزل، حتى لقد اعتزل الاعتزال والمعتزلين، واستغرق هو هذا الموقف منذ أربعيناته حتى موته فى الثمانينات من عمره. ولم يكل أبدا عن املاء شعره حتى لقد كتب أهرامات من الشعر والنثر ضاع أغلبها أو دُفن معه أو تناقلته الألسن دون أن تدري شعر ونثر من هذا، حتى ضاع أغلب أبي العلاء المعري وأكثر ما أنتجته قريحته مما أشار هو نفسه إليه أكثر من مرة فى مقدمة "سقط الزند" ومقدمة "اللزوميات" ومستهل "رسالة الغفران". ولا يصح أبدا أن يُعامل أبو العلاء معاملة غيره من الشعراء بأن يُقال: "قال أبو العلاء فى الموت" أو "قال فى الخلود" أو "قال فى البعث" أو "الخمر.." وما الى ذلك مما درج عليه نقاده وشراحه. فهو شاعر ليس بالبسيط، انما هو صاحب مذهب متكامل تطرق منه الباب الصحيح، فتدلف الى دهاليز المذهب والى سراديب الفكر البشري فى أعمق أعماقه وفى أرقى تجلياته.

يأخذ البيت برقبة الآخر والسطر برقبة السطر والشطر يشد اليه الشطر، وهكذا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، ولا مجال هنا للتجزيئية لأنه كما قلت مذهب متكامل البناء قوي الأسس راسخ من المقدمات الى النهايات. أما ما هذا المذهب فتلك قضية أخرى سبق وأن أفردنا لها حديث آخر طويل ومنفرد. أما موضوعنا الآن فهو رسالة الغفران التى دوخت وما تزال تدوخ النقاد والشراح وعلماء الكلام والنحويين والعروضيين. ونحن نزعم انه ما من أحد على الاطلاق استطاع أن يقترب من أبي العلاء ذلك القرب الذي يمكنه من الفتوى فى الرجل أو مذهبه.

ونحن لا نزعم لأنفسنا هذا الشرف كما لا نزعمه للآخرين انما هي محاولات على الطريق الى أبي العلاء. انما حسبنا أن نلفت النظر الى بعض الظواهر، الى نوعية استشهاداته من أعلام الشعر. قل لى ماذا تختار أقل لك من أنت! وليس غريبا أن يختار أبو العلاء المعري فيمن يختار فى مستهل الرسالة علقمة الفحل وهو شاعر جاهلي عمر طويلا، والموقف الذي كان بين علقمة وبين امريء القيس. ثم ليس غريبا أن يختار أبا زيد، وهو يعني أبا زيد الأنصاري البصري، والثقة فى النحو واللغة كما يلقبه سيبويه. ثم عدي بن زيد العبادي، وهو شاعر جاهلي نصراني والذي يقول:

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror

http://www.facebook.com/naguib.soror

أعاذل ما يُدريك أن منيتــي

إلى ساعة في اليوم أو فى ضحى غد

فذرني فمالي غير ما أمض إن مضى

أمامي من مالي إذا خف عـودي

وحُمت لميقات إلى منيتـــي

وغودرت قد وسدت أو لم أوسـد

وللوارث الباقي من المال فاتركـي

عتابي فإني مصلح غير مفسـد

ثم يختار أبو العلاء الأُقيشر، ثم أبا نواس، ثم النمر بن تولب العكلي، ثم نُصيب بن رباح أبو محجن الذي يقول:

أهيم بدعد ما حييت فان مت

فواحزنا من ذا يهيم بها بعدي

ثم أحمد بن الحسين المتنبي، ثم أخا ثمالة (المبرد)، ثم أخا دوس (ابن دريد)، ثم يونس بن حبيب الضبي، ثم سيبويه، ثم الكسائي، ثم أبا عبيدة، ثم عبد الملك بن قريب (الأصـمعي)، ثـم البكري (أعشى قيس)، ثـم هوذة بـن علـى، ثـم عـامر بـن الطفيل، ثم زهير ابن أبي سلمى، ثم أبا ذؤيب الهذلي، ثم النابغة الجعدي، ثم لبيد، ثم حسان ابن ثابت، ثم الشماخ معقل بن ضرار، ثم أبا على الفارسي، ثم يزيد بن الحكم الكلابي، ثم حميد بن ثور الهلالي، ثم جران العود النميري الذى يقول:

حملن جران العود حتى وضعنه

بعلياء فى أرجائها الجن تعزف

وقلن تمتع ليلة النأي هـذه

فإنك مرجوم غدا أو مسيف

ثم الكندي امرؤ القيس..إلى غير ذلك مما يضيق عنه الحصر، حتى شاعر الجن الذى نسبه إلى الجني أبي هدرش الذي يقول:

حمدت من حط أوزارى ومزقها

عني، فأصبح ذنبي الآن مغفورا

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

وكنت آلفُ من أتراب قرطبة

خُودا، وبالصين أُخرى بنت يغبورا

أزُورُ تلك وهذي، غير مُكترث

في ليلة قبل أن أستوضح النورا

ولا أمر بوحشي ولا بشـر

إلا وغادرته ولهان مذعورا

.... إلى آخره مما لا تشك فى أنه من شعر أبي العلاء نفسه منسوبا إلى الجن، الأمر الذي يذكرنا بترجمة شيطان لعباس محمود العقاد. وقصيدة الجني في رأينا تشكل أروع مفتاح لرسالة الغفران، وفيها يلعب الرجل بالألفاظ اللعبة التي يجيدها فيملأ القصيدة بالألغاز ثم يفسر هذه الألغاز ثم يعود فيغطي التفسير.

نقطة أحرى نحب أن نستلفت إليها النظر وهى الأبيات التي يستشهد بها من شعر السابقين وطبيعة هذه الأبيات، على أنه ما تزال أشعار العفاريت أخطر ما قاله أبو العلاء فى رسالة الغفران. فهو يتخيل ابن القارح وقد ركب بعض دواب الجنة ويسير، فاذا هو بمدائن ليست كمدائن الجنة، ولا عليها النور الشعشعاني، وهي ذات أدحال وغماليل. فيقول لبعض الملائكة:

ابن القارح: ما هذه يا عبد الله؟

المـلاك: هذه جنة العفاريت الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، وذُكروا فى الأحقاف وفي سورة الجن، وهم عدد كثير.

ابن القارح: لأعدلن إلى هؤلاء فلن أخلو لديهم من أعجوبة.

المـلاك: فيعوج عليهم، فإذا هو بشيخ جالس على باب مغارة، فيسلم عليه، فيحسن الرد ويقول: "

العفريت: ما جاء بك يا انسي؟

ابن القارح: سمعت أنكم جن مؤمنون، فجئت ألتمس عندكم أخبار الجنان، وما لعله لديكم من أشعار المردة.

العفريت: لقد أصبت العالم ببجدة الأمر..فسل عما بدا لك.

ابن القارح: ما اسمك أيها الشيخ؟

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

العفريت: أنا الخيتعور أحد بني الشيصبان، ولسنا من ولد إبليس ولكنا من الجن الذين كانوا يسكنون الأرض قبل ولد آدم صلى الله عليه...

ابن القارح: أخبرني عن أشعار الجن، فقد جمع منها المعروف بالمرزُباني قطعة صالحة.

العفريت: إنما ذلك هذيان لا معتمد عليه، وهل يعرف البشر من النظيم إلا كما تعرف البقر من علم الهيئة ومساحة الأرض؟ وانما لهم خمسة عشر جنسا من الموزون قل ما يعدوها القائلون، وإن لنا لالآف أوزان ما سمع بها الإنس وإنما كانت تخطر بهم أطيفال منا عارمون، فتنفث إليهم مقدار الضوازة من أراك نعمان. ولقد نظمت الرجز والقصيد قبل أن يخلق الله آدم بكور أو كورين. وقد بلغني أنكم معشر الانس تلهجون بقصيدة امريء القيس "قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل" وتُحفظونها الحزاورة فى المكاتب، وإن شئت أمليتك ألف كلمة على هذا الوزن، على مثل: *منزل وحومل* وألفا على ذلك القري يجيء على *منزلُ وحوملُ* وألفا على *منزلا وحوملا* وألفا على *منزله وحومله* وألفا على *منزلُه وحوملُه* وألفا على *منزله وحومله* وكل ذلك لشاعر منا هلك وهو كافر، وهو الآن يشتغل فى أطباق الجحيم.

ابن القارح: أيها الشيخ، لقد بقى عليك حفظك.

العفريت: لسنا مثلكم يابني آدم، يغلب علينا النسيان والرطوبة، لأنكم خلقتم من حمإ مسنون، وخُلقنا من مارج من نار.

ابن القارح: أفتمل على شيئا من تلك ألأشعار؟

العفريت: فإذا شئت أمليتك ما لا تسقُهُ الركاب، ولا تسعه صحف دنياك.

ابن القارح: (لنفسه) لقد شقيت فى الدار العاجلة بجمع الأدب. ولم أحظ منه بطائل..ولست بموفق إن تركت لذات الجنة وأقبلت أنتسخ آداب الجن، ومعي من الأدب ما هو كاف، لاسيما وقد شاع النسيان فى أهل ادب الجنة، فصرت من أكثرهم رواية وأوسعهم حفظا، ولله الحمد".

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror

http://www.facebook.com/naguib.soror

واضح أن أبا العلاء هو نفسه "الخيتعور"، وهو نفسه في هذا المشهد ابن القارح، وواضح أن ثقافته الموسوعية النادرة حتى فى علم الهيئة وعلم الحساب تسخر من مثقفي عصره ومن علماء الكلام ومن النقاد والشراح.

إن الحديث عن أبي العلاء حديث يطول فإلى عودة مع أبي العلاء الذي يقول، ولطالما اتهم بالتشائم ظلما:

لو قيل لم يبق سوى ساعة

أملت ما تعجز عنه سنة

****

المقالة السابعة

بين هوامش الغفران

(1) سؤال عن ابن القارح:

لا يوجد عمل فى أدبنا العربي على اطلاق تحار فيه العقول كما تحار في "رسالة الغفران" لأبي العلاءالمعري. وأكثر من هذا ابتعاثا للحيرة الدوافع التى دفعت رجلا كأبي العلاء إلى أن يكتب مثل هذه الرسالة الالغازية الى رجل كابن القارح. فمن هو ابن القارح؟

ان أبا العلاء نفسه يحدثنا بأنه يعرف ابن القارح معرفة سطحية حين يقول: "..وأول ما سمعت بأخبار الشيخ من رجل واسطي يتعرض لعلم العروض، ذكر أنه شاهده بنصيبين وفيها رجل يُعرف بأبي الحسين البصري، معلما لبعض العلوية، وكان غلام يختلف اليه يُعرف بابن الدان، وقد اجتاز الشيخ ببلدنا والواسطي يومئذ فيه. وقد شاهدت عند أبي أحمد عبد السلام . رحمه الله . كتبا عليها سماع لرجل من أهل حلب، وما أشك أنه الشيخ، وهو لا يفتقر الى تعريف بالقريض، كما قال الطائي:

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror

http://www.facebook.com/naguib.soror

تحميه لألاؤه أو لوزعيتـه

من أن يُذال بمن؟ أو ممن الرجل"

إن أبا العلاء نفسه يشك فيما هو يؤكد أنه لا يعرف ابن القارح معرفة يقينية قاطعة. ثم ان ابن القارح لم يكن بالشخصية الشهيرة المتفقهة فى علوم الدين واللغة والكلام، وما كان لرجل كأبي العلاء أن يكتب مثل هذه الرسالة التى تعتبر أهم ما كتب الى شخصية عابرة لا تتمتع بالصيت القوي فى عصره. فقد كان المعقول أن يكتب مثل هذه الرسالة الى شخصية كشخصية أبي نصر ابن أبي عمران . داعي الدعاة . لا الى ابن القارح المزعوم. ثم ان ابن القارح يُعرفنا ببدء التعارف بينه وبين أبي العلاء بطريقة أكثر سطحية وأكثر ابتعاثا للقلق والحيرة، وذلك حين يقول في رسالته إن أبا العلاء ذكر اسمه فى مناسبة عابرة حين قال فى ما نقله ابن القارح: "بلغني عن مولاي الشيخ . أدام الله تأييده . أنه قال وقد ذُكرت له: أعرفه خبرا، هو الذي هجا أبا القاسم على بن الحسين المغربي".

هذه المعرفة الجادة من جانب أبي العلاء تثير القلق أكثر. ثم ان رجلا كأبي العلاء كانت العيون تترصده وتطارده فيما يكتب أو يقول. ورجلا بهذا الحذر، ورجلا سبق أن سُرق له رحل به رسائل أخرى من ابن القارح الى أبي العلاء، رجلا كهذا وبمرارات أبي العلاء لا يمكن أن ينزلق إلى التراسل المفتوح بينه وبين ابن القارح الذي نحار بين كونه يعرفه معرفة يقينية وكونه يعرفه معرفة سطحية، وبين واقعة أنه كتب رسالة الغفران له بالذات وان أخذت الشكل الشفري الالغازي الغامض التى هي عليه. هو الذي لم ينزلق الى مثل هذا الحوار المفتوح مع داعي الدعاة ولم يستجب لاستفزازاته المتكررة.

هل ابن القارح شخصية وهمية ألبسها أبو العلاء أفكاره وجسد فيها رؤاه؟ نبادر فنقول لا. انها شخصية حقيقية ولكن الاسم مستعار تختفي وراءه شخصية هامة فى ذلك العصر. انهما يتحاوران أو يحاورها أبو العلاء دون أن يتورط فى كشف النقاب عن وجهها الحقيقي وذلك لظروف سياسية واعتبارات دينية معينة. تُرى من عساها تكون تلك الشخصية؟ نحن نظن، وهذا أغلب الظن، انها شخصية داعي الدعاة نفسه الذي اتفق مع أبي العلاء بعد المراسلة على المساكتة أو الصمت كما

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror

يسجل ذلك ياقوت. فمن الملفت للنظر هذه الجدية فى الكتابة الى ابن القارح، ومن الملفت للنظر هذه الطمأنينة والثقة فى الكتابة إليه. ومن الملفت للنظر أن رجلا كأبي العلاء بطبيعته كان شديد الحذر من الناس ومن العصر. ومن الملفت للنظر أخيرا ذكاء ابن القارح فى الرسالة التى وصلت الى أبي العلاء بين رسائل أخرى سرقت ثم رغم ذلك يكتب أبو العلاء رسالته بطريقته الشفرية هذه ممتحنا ذكاء ابن القارح وذكاء من قد تقع بين يديه رسالة الغفران. من هنا شدة صعوبة رسالة الغفران على من يحاول حل ألغازها وفك رموزها وتحليل محتواها.

(2) سؤال آخر عن حكاية الطفل:

ورد فى رسالة الغفران ذكر لطفل بما نصه أن التأله، أي التوحيد، غريزة فى الطفل. وورد ذكره فى مطلع رسالة الغفران بطريقة غير مباشرة، كما سبق أن ورد فى لزوميات أبي العلاء وفي سقط الزند. ومن العبث أن نمر بهذه الظاهرة مرورا عابرا، فهو الطفل الذي يريد أبو العلاء أن يربيه منذ المهد كما فعل أفلاطون والفارابي من قبل لكى يحكم العالم. فهل كان أبو العلاء هو الآخر طوباويا؟. إن أفلاطون لم يكتف بأن كتب جمهوريته بل راح يبحث عنها بالعمل السياسي الدائم فى العالم المحيط به، وكذلك الفارابي. نعم لقد مارسوا السياسة قبل وبعد التورط فى الطوباوية. فهل تورط فيها أبو العلاء الذى قال: "انما هذه المذاهب أسباب لجلب الدنيا إلى الرؤساء". نعم. حتى أبو العلاء كان طوباويا، وراح يبحث فى عصره عن الشخصية التى تتجسد فيها أحلامه وأفكاره ورؤاه فلم يجد فيمن حوله أحد ولم يجد بين المذاهب على الاطلاق مذهبا واحدا يستريح إليه ويهدأ عنده فراح يبحث عن امكانية تربية المستبد العادل أو المهدى المنتظر وذلك منذ نعومة أظفار الطفل. ولذلك جاءت رسالة الغفران خط عمل أو برنامج سياسي لا علاقة له فى الواقع بجنة أو بنار الا علاقة الحقيقة بالمجاز.

****

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

الجزء الثاني

دليل القارئ الذكي إلى عالم أبي العلاء

(دراسة)

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror

http://www.facebook.com/naguib.soror

الفصل الأول

مشترط أبي العلاء

"أقررت بالجهل وادعى فهمي قوم
فأمري وأمرهم عجبُ
والحق أني وأنهم هدر
لستُ نجيبا ولا هُمُ نُجُبُ"(1)

أبو العلاء

يقول أبو العلاء في مستهل مقدمته للزومياته ما نصه: "..وانما وضعتُ أشياء من العظة، وأفانين على حسب ما تسمحُ به الغريزة. فان جاوزتُ المشترط إلى سواه فان الذي جاوزتُ اليه قول عُري من المين. وجمعتُ ذلك كله في كتاب لقبته (لزوم مالا يلزم)"!

هناك اذن مشترط..مصطلح..لغة سرية!!

وهناك نوع مشترط من العظة وأفانين على حسب ما تسمح به الغريزة، وآخر بالضرورة غير مشترط..أي نوع باطني وآخر ظاهري. وبدون التفرقة بين مشترط وغير مشترط أبي العلاء لا يمكن فهم مقاصد الرجل أو مقصده الرئيسي فى كُل ما

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

كتب وقال. فهو نفسه الذي يقول في "رسالة الملائكة": "...وحق لمثلي ألا يسأل، فان سُئل تعين عليه ألا يجيب، فان أجاب ففرض على السامع ألا يسمع منه، فان خالف باستماعه ففريضة ألا يكتب ما يقول، فان كتبه فواجب ألا ينظر فيه، فان نظر فيه فقد خبط عشواء"!

إلى هذا الحد يخشى الرجل على مشترطه.

إلى هذا الحد يخشى أن تفهم مقاصده الباطنة من وراء العظاة والحكم وأفانين القول التى تسمح بها الغريزة!

إذن فصعوبة قراءة وفهم أبي العلاء صعوبة متعمدة واضطرارية وتكتيكية أملتها دوافع التخفي والتنكر والتغطية، الأمر الذي يجب أن يدفع القاريء إلى الاصرار على الصبر عليه والتصميم على فهمه لا الانصراف عنه ولا الزهد فيه ايثارا للراحة وجريا وراء السهولة، خاصة وأن فهم أبي العلاء بالذات والآن بالذات هو . كما اتضح وسيتضح أكثر . مسألة حياة أو موت بالنسبة للقراء العرب فى ظل المتغيرات الجديدة فى وطننا العربي الذبيح.

فلنضف هنا قول الرجل في مقدمة اللزوميات: "وقد بنيتُ هذا الكتاب على بنية حروف المعجم المعروفة ما بين العامة لا التي رتبها العلماء بمجاري الحروف".

مما يعني على سبيل القطع وجود بنيتين لحروف المعجم، احداهما للعامة والأخرى للعلماء (الخاصة)، أي وجود معجمين أو مشترطين ظاهري وباطني. فمن العبث اذن محاولة فهم أبي العلاء ببنية حروف المعجم المعروفة لدى العامة. انها بنية ظاهرية لا تزيد الأمر إلا غموضا كما هي الحال فى كل ما كتبه العقاد العقاد وطه حسين وبنت الشاطيء ولويس عوض وغيرهم، وان كان الوقت لم يحن بعد لمراجعة الأساتذة المذكورين فيما كتبوا. وإلى أن يحين أقول إنه يمكن فهم أبي العلاء فقط بالتعرف على بنية الحروف كما رتبها العلماء.

ومن هنا ذهبت مع الريح أطنان النقد والشروح التى كتبت وما تزال تكتب عن أبي العلاء منذ أودع الرجل أعماله ذمة الأجيال والتاريخ وذمة أنصاره ومريديه وأتباعه من أعضاء حزبه السري..أعضاء الكتيبة الخرساء. وضاع من أعماله ما ضاع وبقي ما بقي، وربما شوهت بعض أعماله أو تعرضت للحذف والدس

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

والانتحال والابدال. وظل هو كأبي الهول الرهيب يرفض أن يبوح بسره المهول لمن يعتنون بالظاهر فيما يقرأون. وهم للأسف الأغلبية الساحقة من القراء العرب!

هاهو الرجل يتبرأ للمرة الألف ربما من النحو والصرف واللغة مما يصر الرواة والشارحون على اتهامه بالولع به، فيقول في رسالة الملائكة: "كنت في غيسان (عنفوان) الشبيبة أود أنني من أهل العلم، فسجنتني (فحبستني) عنه سواجن غادرتني مثل الكرة رهن المحاجن. فالآن مشيت رويدا وتركت عمرا للضارب وزيدا. وما أوثر أن يزاد في صحيفتي خطأ فى النحو فيخلُد آمنا من المحو"(2).

ثم يقول في نفس الرسالة: "ولما وافى شيخنا أبو القسم على بن محمد بن همام بتلك المسائل . النحوية والصرفية ..

فقلت اصطحبها أو لغيري فاهدها
فما أنا بعد الشيب . ويلك . والخمر
تجاللت عنها فى السنين التى مضت
فكيف التصابي بعدما كلأ العمر"!

مشبها المسائل الصرفية والنحوية واللغوية بالخمر التى امتنع عنها وزهد فيها منذ زمن بعيد ما بين الشبيبة والشيب. وهنا نعود لنستدعي إلى الذاكرة قوله الحاسم:

من يبغ عندي نحوا أو يُرد لغة
فما يُساعفُ من هذا ولا هذي

وقوله القاطع:

ما النحوُ والشعر والكلامُ
وما مُرقش والمُسيبُ بن علس

ومن المفيد جدا للتعرف على معجم أبي العلاء والولوج إلى عالمه المكتظ بالألغاز والأسرار والطلاسم أن نعود إلى مقدمة اللزوميات، حيث يقول: "ومن الأبيات الموضوعات للمعاني:

أقولُ لعبد الله لما سقاؤنا
ونحن بوادي عبد شمس وهاشم

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

فهذا ألغز قولهُ . وهي شم . وهو يريد وهي من الوهى وشم من شيم البرق عن قوله . وهاشم . إذا كان هاشم اسم رجل. فلو جاءت بعد ذلك الخضارم، والاكارم، ودائم، ونحوها لكان عندي غير قبيح"!..

ها هو الرجل يشرح لك البيت المذكور ويحل ألغازه ويبين لك وجه اللعب بالألفاظ فيه فيعطيك في نفس الوقت واحدا من المفاتيح السرية لفهم أقواله هو وفك رموزها، وطريقة الى الولوج إلى عالمه ومقاصده ومراميه. وعلى هذا يصبح من الواضح أن الرجل لم يقصد بمقدمة اللزوميات وسقط الزند أن يعطيك دروسا في اللغة أو العروض . كما قال لنا مرارا . وانما اتخذ ذلك كله وسيلة لتمرير رموزه السرية الباطنية وتمرير مفردات معجمه المشترط. نعم اتخذ ذلك كله وسيلة للتستر ووسيلة في نفس الوقت للايصال. ولكنه لا يقف عند هذا الحد بل يتجزأ فيعطيك بعضا من مفردات معجمه السري مباشرة ودون خوف، فيقول فى رسالة الملائكة أيضا: "ولا يحسن بساكن الجنان أن يصيب من ثمارها فى الخلود وهو لا يعرف حقائق تسميتها:

كمثرى الجنان . ولعل في الفردوس قوما لا يدركون أحروف كمثرى كلها أصلية أم بعضها زوائد. ولو قيل لهم ما وزن كمثرى على مذهب أهل التصريف لم يعرفوا فعلى.

السفرجل . وما يجمل بالرجل من الصالحين أن يصيب من سفرجل الجنة في النعيم الدائم وهو لا يعلم كيف تصغيره وجمعه، وهو لا يشعر ان كان يجوز أن يشتق منه فعل أم لا.

السندس . وهذا السندس الذي يطؤه المؤمنون ويفترشونه، كم فيهم من رجل لا يدري أوزنه فعُلُل أم فنْعُل.

شجرة طوبى . وشجرة طوبى، كيف يستظل بها المؤمنون المتقون ويجتنونها آخر الأبد، وفيهم كثير لا يعرفون أمن ذوات الواو هي أم من ذوات الياء...ولعلنا لو سألنا من يرى طوبى في كل حين: لم حذف منها الألف واللام؟ لم يُحر في ذلك جوابا.

الحور . ومن هو مع الحور العين خالدا مخلد، هل يدري ما معنى الحور؟

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

الاستبرق- وكيف يستجيز من فرشه الاستبرق أن يمضي عليه أبد بعد أبد وهو لايدري كيف يجمعه جمع التكسير وكيف يصغره.

تلك عينات وأمثلة من المشترط..من معجم العلماء الخاص الذي رتب عليه أبو العلاء لزومياته.ويسوقها أبو العلاء هنا مغامرا بكل شيء من أجل ألا يُؤخذ كلامه على المعنى الظاهري وبمعجم العامة. ثم هو يؤكد بهذا أن جميع المقدسات يجب ألا تؤخذ على معناها الظاهري ولا بمعجم العامة وأن لها معان أخرى باطنية لا يعلم تأويلها إلا قليل، وأن القاريء الذى يكتفي بالمعنى الظاهري لأقوال أبي العلاء انما "يخبط خبط عشواء"، على حد تعبيره السالف الذكر بعاليه. وما دام الأمر كذلك فكل شيء معرض للشك والتأويل والتحريف والابدال . ابدال الحروف . والحذف والزيادة والكذب والافتراء وسوء الفهم..إلخ

ولننظر ما تعرض له التراث العربي كله على مدى العصور ، مما سبق أن أشرنا اليه وأوضحناه. خاصة وأن العربية قد أصابها التغيير وجهل أهلها بها ، علاوة على عدم صيانتهم لها من الألفاظ المدسوسة والمنحولة والمبدلة كما يرد على لسان الخليل بن أحمد فى رسالة الملائكة حين يقول: "إن الله جلت قدرته جعل من يسكن الجنة ممن يتكلم بكلام العرب ناطقا بأفصح اللغات كما نطق بها يعرُبُ بن قحطان أو معد بن عدنان وأبناؤه لصلبه، لا يدركهم الزيغ ولا الزلل، وانما افتقر الناس . في الدار الغرارة . إلى علم اللغة والنحو لأن العربية أصابها تغيير . فأما الآن فقد رُفع عن أهل الجنة كل الخطأ والوهم"..

ضاعت العربية اذن بين الفصاحة والعجمى وبين الأصول والزوائد على أن الفردوس أو النعيم أو الجنة التى يقصدها أبو العلاء التى يشترط لدخولها المعرفة الصحيحة باللغة العربية في معجميها العامي والخاص والظاهري والباطني والصحيح الفصيح لا المستعجم الدخيل..هي جنة المعرفة والفهم والتعقل وهذا ما يوجبه على جنوده من أعضاء الكتيبة الخرساء!!

يقول أبو العلاء في مقدمة اللزوميات: "فأما الأبيات التى تنسبُ إلى الكاهنة التى لها حديث مع عبد الله بن عبد المطلب، أعني قولها:

انى رأيتُ غمامة برقت

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

بيضاء بين حناتم القطر

وظننتهُ شرفا لصاحبه

ما كل قادح زنده يوري

فان الواو قويت لأن بعد الراء ياء أصلية يجوز أن تجعل رويا ولا يمتنعُ أن تكون لغة الكاهنة الهمز على لغة من قال مُؤسى فهمز الواو لمجاورة الضمة كما يهمزها اذا كانت الضمة فيها موجودة، وقد يجوز أن تكون من باب السناد، فان صح فهو اشنعُ ما يكون. واذا اختلف الروى فكان مرة دالا ومرة ذالا أو سينا و شينا أو نحو ذلك من الحروف المتقاربة فهو الذي يسمى الإكفاء. قال الراجز:

قد علمت بيض يمسن ميسا

ألا ازال فقه وريشا

حتى قتلت بالكريم جيشا"

ألم أقل لك أيها القاريء: إنك لن تستطيع مع أبي العلاء ولا معي صبرا؟!

أولا: لماذا الأبيات التي تنسب الى الكاهنة بالذات؟!

ثانيا: أي حديث كان للكاهنة مع عبد الله بن عبد المطلب بالذات؟

ثالثا: لماذا لغة الهمز..أي لغة الرمز والسرية والباطنية ومع عبد الله بن عبد المطلب؟! ما دلالة هذا وما النتائج المترتبة عليه وماذا ينجو أو يتبقى تحت مجهر منهج الشك عند أبي العلاء؟!

رابعا: لماذا الهمز فى لغة الكهنة عموما على مر العصور واختلاف الأديان خاصة وأن أبا العلاء يستدعي هنا ذاكرتنا الى البيت الذي كثيرا ما سلفت الاشارة اليه:

ولحبر اليهود(3) في درسه التوراة

فن والهم في التدبيل

خامسا: لماذا تكون لغة الهمز لدى الكاهنة على لغة "من قال مؤسي" بالذات..لغة من اذن تلك المهموزة؟!

سادسا: قوله "فان صح فهو أشنعُ ما يكون"!..أيعود حقا على القضية العروضية المطروحة على سبيل التغطية والتمويه أم يعود على السناد نفسه، أي

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror

http://www.facebook.com/naguib.soror

على حديث الكاهنة مع عبد الله بن عبد المطلب، ومن ثم فاذا صح يصبح الأمر أشنع ما يكون؟!..وفعلا.

سابعا: الرجل يوحى اليك الى جانب الهمز فى اللغة بامكانية ابدال الحروف المتقاربة. دال . ذال . سين . شين الخ..

كما يشير الى التبادل الممكن بين العبرية (لغة من قال مؤسى) وبين العربية!

ثامنا: لماذا بعد (لغة من قال مؤسي) يستشهد أبو العلاء بقول الراجز: "قد علمت بيض يمسن ميسا". يمسن . ميسا . ومؤسى..؟! هل هي مصادفة؟! مجرد تداعي خواطر وأفكار وكلمات وحروف؟! أبو العلاء أذكى وأشد دهاء من أن يترك في سائر أعماله شيئا للصدفة، فكل شيء لديه مقصود ومخطط ومدبر ومدروس ومصوب الى هدف لا يخطئه أبدا!! وتدليلا على هذا دعونا هنا بالذات نقفز الى مقدمة رسالة الملائكة آخذين معنا يمسن . ميسا . مؤسى لنرى مدى ذكاء الرجل الذي لعب بجميع العقول لأكثر من ألف عام ومدى ما تكلفه من مشاق وأعباء لايصال أفكاره إلى الأجيال القادمة من بعده!

انه باديء ذي بدء يعطيك مفتاحا آخر سريا الى عالمه هو "قلب الحروف" أو عكسها، بعد أن أعطاك "ابدال الحروف" حتى ليصدق عليه ما قاله أحد الشعراء عن واصل بن عطاء: "عليم بابدال الحروف"..

فلنمض مع الرجل مستعينين بالصبر. يقول : "أفتراني أدافع ملك النفوس (الموت)، فأقول: أصل ملك مألك، وانما أخذ من الألوكة (الرسالة!) ثم قلب. ويدلنا على ذلك قولهم الملائكة في الجمع لأن الجموع ترد الأشياء إلى أصولها...فيعجبه ما سمع، فينظرني ساعة لاشتغاله بما قلت، فاذا هم بالقبض قلت: وزن ملك على هذا القول معل، لأن الميم زائدة، واذا كان الملك من الألوكة، فهو مقلوب من الك الى لأك...فوزن الملائكة على هذا معافلة، لأنها مقلوبة عن مآلكة".

ترى ماذا تبقى من التراث العربي كله بلا استثناء بعد عمليات القلب والابدال والتعاكس والتعجيم والهمز. وعلى أية صورة تبقى؟! ثم ألهذا اكتظ الباقي منه بالاسرائيليات على (لغة من قال مؤسى) أو لغة (الكاهنة) المهموزة؟! ثم على أي وجه اذن يتحتم علينا أن نتناول تراثنا محاولين فهمه أو فهم البقية الباقية منه وغربلته

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

وتنقيته وتحقيقه والشك فى الكثير منه ورده الى الأصول..؟!على أي وجه غير وجوه القلب والتعاكس والابدال؟! تماما كما فعل الكهنة من أحبار اليهود؟!

يستطرد أبو العلاء فيقول: "أم تراني اداري (ادافع) منكرا ونكيرا فأقول: كيف جاء اسماكما عربيين منصرفين واسماء الملائكة أكثرها من الأعجمية مثل اسرافيل . وجبرائيل . وميكائيل، فيقولان: هات حجتك، وخل الزخرف عنك! فأقول متقربا اليهما: قد كان ينبغي لكما أن تعرفا ما وزن ميكائيل وجبرائيل على اختلاف اللغات فيهما، اذ كانا اخويكما في عبادة الله، فلا يزيدهما ذلك الا غلظة. ولو علمت انهما يرغبان فى مثل هذه العلل، لأعددت لهما شيئا كثيرا من ذلك، ولقلت لهما: ما تريان في وزن موسى (اسم) كليم الله الذي سألتماه عن دينه وحجته فأبان وأوضح. فان قالا: موسى اسم أعجمي الا انه يوافق العربية، على وزن مفعل وفُعلى. أما مفعل فاذا كان من ذوات الواو مثل أوسيت وأوريت فانك تقول: موسى وموري".

وهنا نتذكر قوله على لسان الكاهنة: "ما كل قادح زنده يورى"!

ثم يستطرد أبو العلاء: "واذا كان من ذوات الهمز (يقصد لغة الكاهنة المشار اليها ولغة من قال موسى) فانك تخفف حتى تكون الواو خالصة من مُفعل..وإذا قيل إن موسى فُعلى فان جعل اصله الهمز وافق فعلى من مأس بين القوم اذا أفسد بينهم. قال الأفوه (شاعر يماني قديم):

إما ترى رأسي ازري بـه

مأسُ زمان ذي انتكاس مؤوس

ويجوز أن يكون فعلى من ماس يميس (تبختر واحتال)، فقلبت الياء واوا للضمة كما قالوا الكوسى وهى من الكيس"؟!

أرأيتم إلى ذكاء الرجل؟!

لقد وصل عن طريق اللغة والنحو والصرف والعروض والقلب والابدال والتعاكس الى الماس. الى الماسونية، الدين أو التنظيم السري الباطني لليهود والأصل الكامن وراء جميع أقنعتها التنكرية حتى الصهيونية..

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

ومع ذلك مازال بعض السذج فى عالمنا العربي المنكوب يصر على أن يفرق الماسونية واليهودية والصهيونية خوفا من أن يُتهم بالعداء للسامية أو بالعنصرية مع اننا نخوض حربا ضد عدو هو من أشد غلاة العنصرية!

يقول أبو العلاء بعد ذلك مباشرة: "فاذا سمعتُ ذلك منهما، قلت: لله دركما! لم أكن أحسب أن الملائكة تنطق بمثل هذا الكلام ولا تعرف أحكام العربية.."!

أي أن الكهنة والأحبار يعلمون جيدا أحكام العربية..تلك التى نسيها أو أهملها أهلوها وناموا عنها! وهكذا عدنا عن طريق رسالة الملائكة الى مقدمة اللزوميات ولغة الهمز الكهنوتية الماسونية اليهودية الباطنية، ثم الى ـ قد علمت بيض يمسن ميسا.

وهنا نعود الى رسالة الغفران، حيث يقول أبو العلاء على لسان ابن القارح للجني: "لله درك يا أبا هدرش...فكيف ألسنتكم؟ أيكون فيكُم عرب لا يفهمون عن الروم، وروم لا يفهمون عن العرب، كما نجدُ في أجيال الإنس؟". فيقول (الجني): "هيهات أيها المرحوم! إنا أهلُ ذكاء وفطن، ولابُد لأحدنا أن يكون عارفا بجميع الألسن الإنسية، ولنا بعد ذلك لسان لا يعرفه الأنيسُ"!..أي الا من هو من جنس الجان..لسان خاص سري باطني..فضلا عن معرفة جميع الألسن الإنسية. والجان فى معجم أبي العلاء . كما قلت مرة . هم اليهود وهم الأعاجم وهم هنا الروم وهم في مكان آخر النبط:

استنبط العُربُ لفظا وانبرى نبط
يُخاطبونك من أفواه أعراب

****

ملاحظات:

(1) النجيب هو أحد الخيول العتاق الكريمة الأصيلة غير المهجنة! (ن.س)

(2) هنا أيضا اشارة واضحة الى ما علمه الرجل من الأخطار التى قد تتعرض لها أعماله. (ن.س)

(3) حبر اليهود هو كاهن اليهود! (ن.س)

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror

http://www.facebook.com/naguib.soror

الفصل الثاني

أبو العلاء داعية للثورة

"إذا أغضب الخيل الشكيم فمالها

عليه اقتدار غير أزم الحدائـد"

أبو العلاء

علينا أن نعد العدة كاملة للولوج إلى عالم أبي العلاء، فلن نلج هذا العالم إلا إذا أحطنا به وبجميع أعماله من خلال قراءته المتكررة والصبورة واليقظة!..ولنأخذ بنصيحة أبي تمام . من قبل أبي العلاء . بألا نمل التكرار في قول الأول:

لو رأينا التوكيد خطة عجز

ما شفعنا الآذان بالتثويب

فالتثويب، أي التكرار أو الترديد، هو لدى أبي العلاء كما لدى أبي تمام خطة مقدرة لا عجز..ثم هو ضرورة لا بديل لها ولا مفر منها لامكان التلقي والفهم والكشف والاستيعاب، وذلك أمام الإغراب أو الإلغاز الذي اضطر إليه أبو العلاء وتعمده فى نفس الوقت وإن لم يقصده لذاته بحال من الأحوال على سبيل استعراض العضلات كما أجمع على ذلك . ظلما وافتراء . أغلب القدماء والمحدثين والمعاصرين، وإنما لجأ إليه عملا بنصيحة أبي تمام أيضا حين قال:

سنغرب تجديدا لعهدك في البكا

فما كنت في الأيام إلا غرائبا

فلنترك أبا تمام في خرسه وصمته هو الآخر، يلوك الغيظ والغضب والحسرة كأبي العلاء ويعض الشكيم ويمضغ حديد اللجام كآلاف بل ملايين من الشعراء

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror

http://www.facebook.com/naguib.soror

والحكماء منذ أقدم العصور حتى عصرنا هذا..لأن لأبي تمام أيضا قصة طويلة تحتاج وحدها إلى دليل منفرد!

ولقد رأينا فيما سبق من حديث كيف أن أبا العلاء لم يكتف بالشك فى التراث العربي كله بين الفصحى والعجمى والأصول والمنحولات..والمنسوخات والمقلوبات والمعكوسات والمبدلات والمدسوسات والمهموزات، بل وضع التراث الانساني كله والعالمي موضع الشك وقدم على ذلك الأدلة والشواهد والحيثيات بما في ذلك ما تبقى من أعماله هو نفسه التى لم تنج . بالضرورة . من عمليات الحذف والاضافة والتشويه والمحو!.واقرأوا بأناة قوله فى مقدمة اللزوميات: "..ومن الحركات: الإشباع، وهو حركة الحرف الذي بين ألف التأسيس وحرف الروي في الشعر المطلق، وذلك الحرف يسمى الدخيل، ويقال أن الخليل لم يذكر الإشباع وأن سعيد بن مسعدة ذكرهُ، فيجوز أن يكون اسما وضعهُ، ويجوز أن يكون قد تلقاهُ عمن قبلهُ من أهل العلم. وقد رئي في القوافي كتاب للفراء وكتاب لخلف بن حيان، فإن لم يخلوا من ذكر الإشباع فهذا يدل على أن سعيد بن مسعدة أخذ هذا الاسم عن غيره، إذ كان هذان الرجلان في القدم نظيره. ويجب أن يكون خلف مات قبله بمدة طويلة، فأما موته وموت الفراء فمتقاربان، وهذه الأسماء الموضوعة لا يعقل مثلها سكان العمد (والعمد بيوت من الوبر يسكنها عرب البادية)!..فان كانت تُلقيت عن العرب فيجب أن يكون من أخذ عنه يعرف حروف المعجم (يقصد معجم العلماء لا معجم العامة، أي المعجم الباطني السري الشفري) ويقرأ الصحف وقد كان فيهم رجال يقرءون ويكتبون ويعرفون مواقع الحروف"!!..

ثم يستطرد الإمام القائد المعلم الضرير فيقول: "فأما الخليل وابنُ مسعدة فلم يذكراه (المجرى من بين الحركات) وقد جاءت أشياء في الشعر القديم بعضها منصوب وبعضها مرفوع أو مخفوض، وإنما يُحمل ذلك على الوقف، لأنه يبعدُ أن يقول عربي فصيح له علم بالشعر:

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا

وعادك من عاد السليم المسهدا"

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror

http://www.facebook.com/naguib.soror

ثم يستطرد أبو العلاء في موضع آخر، فيقول: "..فإذا انفتح ما قبل الواو في مثل عصوا، وغزوا، وقضوا فالجماعة يجعلونها رويا ولا يجيزون أن تكون وصلا. وذلك مفقود في أشعار الفصحاء. إنما يجيء منه الشيء النادرُ ولعلهُ مصنوع....وليس على الشذوذ تعويل. ولا أعرف لأحد من أهل الفصاحة مثل أبيات مروان"!!..يقصد مروان بن الحكم، ويشير إلى القول المنسوب إليه:

هل نحن إلا مثل من كان قبلنا

نموتُ كما ماتوا نحيا كما حيوا

مرة ثانية: ماذا أبقى أبو العلاء لمنهج الشك الديكارتي أو لطه حسين؟! وما الذي يمكن . بعد هذا . أن ينجو من الشك؟ انني أكرر هنا قول برتولد بريخت: "التشكك يزحزح الجبال، ومن بين كل ما هو يقيني نجد الشك أكثر يقينا"!

نعم إن الشك منذ الآن هو الشيء الوحيد الذي لا شك فيه! ولسوف يزحزح به أبو العلاء جبالا وجبالا . على طول اللزوميات خاصة . حتى يزلزل عقولنا ويوشك أن يورثنا الجنون بما يكشف لنا من أهوال المتناقضات، بل يغرينا بالانتحار لولا أنه يحثنا على التماسك وعلى أن نتمالك أعصابنا وعقولنا وأنفسنا ونصبر ونطيل الصبر كما فعل هو!..

ان أبا العلاء كلم الناس رمزا أكثر من أربعين عاما منذ أن عاد من العراق طريدا إلى المعرة حتى مات في الثمانين!

من حيثما نظرت في أقوال أبي العلاء ستجد دائما "الماس" أو "الماسونية" بكل مشتقاتها وبكل حروفها المتشابهة والمشبهة والمتقاربة والمتباعدة والمبدلة والمعكوسة والمهموزة. وكذلك "موسى" و "الموسوية" وكذلك "اليهود" و "اليهودية"..ضمنا أو مباشرة، تصريحا أو تلميحا، لا أستثني من ذلك شيئا.

دعونا على سبيل المثال نستعرض بعض ما يقوله في حرف السين:

. تمازج بالعُرب الأعاجمُ والنقى

على الغدر أنواع تذم وأجناسُ

. **تنمس** منا بالديانة معشر

وقد بطلت عند اللبيب **النوامسُ**

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

. يقولون إن الدين **يَنسخُ** مثل ما

تولت بإقبال الحنيفة فـارسُ

. وما حرصُهُ فى العلم يدرُسُ كُتبهُ

وقد شاهد **الآثار** تُمحـى وتُدرسُ

. قام للأيام في أذنــــي

واعظ من شأنه الخـــرسُ

. أنسلُ **إبليس** أم حواء ويحكُمُ

هذا الأنامُ ففي أفعالهم دلـسُ

إن يؤمنوا لا يُؤدوا أو يكُن لـهم

عز يضيموا وإن أعياهُمُ اختلسوا

. يستحسن القوم ألفاظا إذا امتحنت

يوما فأحسنُ منها العي والخرسُ

و**آل إسرال** غادوا فى **مدارســهم**

تلاوة **ومُحــــال** كُل ما درسوا

. وموه الناس حتى ظن جاهلُهُم

أن النبوة **تمويه وتدليــــس**

. أضعت شاء جعلت الذئب حارسه

أما علمت بأن الذئب حـراسُ

. **تعلم** الكُفر **أُولاهم وآخـرُهُم**

فكل أرض بها جمع ومدارسُ(1)

وعن **قليل** يصيرُ الأمرُ **منتقـلا**

عنـهُم وتخفتُ للاجراس أجراسُ

. وما حمدى **لآدم** أو بنيـه

وأشهدُ أن كلهُم خسيـسُ

وزوجك أيها الدنيا تمنـى

طـلاقك قبل أن يقع **المسيـسُ**

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

. بناتُ العم تأباها النصـارى
وبالأخوات أعرست **المجوسُ**
. ومتى ركبت إلى الديانة **غالها**
فكر على حُسن الضمير **دسائسُ**
والعقلُ يعجبُ والشرائعُ كلـها
خبر يُقلدُ لم يقسهُ قائـسُ
مُتمجسون ومسلمون ومعشر
متنصرون **وهائدون** رسائسُ(2)
وبيوتُ نيران تُزارُ تعبـدا
ومساجد معمورة وكنائـسُ
والصابئون يُعظمون كواكبا
وطباعُ كُل فى اشرور حبائسُ
. ظلوا كدائرة تحول بعضـها
من بعضها **فجميعُها معكوسُ**
. شر أشجار **علمتُ بـها**
شجرات أثمرت **نـاسـا**
حملت بهضا **وأغريـة**
وأتت **بالقوم . أجناسـا**
. قالت معاشرُ لم يبعث إلهُكُمُ
إلى البرية عيساها ولا موسى
وإنما جعلوا للقوم مأكلـة
وصيروا لجميع الناس **ناموسا**
ولو قدرتُ لعاقبتُ الذين طغوا
حتى يعود حليفُ الغي **مرموسا**
. **داءُ** هذا الأنام لا يقبل الطب
وقدما أراه داء نجيسـا

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

فكر حسنت **لقوم** أمـورا

فاستجازوا **التهويد** والتمجيسا

. وصار دمُ **الديك** المؤذن سُحره

لأهل المغاني حُسوة لفم **النمـس**

. ولبسك ثوب السقم أحسن منظرا

وأبهج من ثوب الغوى **المنـمس**

. تداعت بلفظ العُجم أعرابُ مذ حج

وأعرب أهلا فارس وخُـراس

. ترومون **بالناموس** كسبا فسعيكم

إذا لاحت **الأطماعُ** سعىُ **نمـوس**

. فتوقهم من **أسود أو أبيـض**

أو أسمر ما بين ذين مجنـس

. نسخ **المعاشرُ** فالغضنفرُ ثعلب

فى لؤمه والناسُ **كالنسنـاس**

وتفكرت نفس اللبيب وقد رأت

أشُخوصُ جن أم شُخوصُ إنـاس

عُرب وعجم دائلون وكلنـا

في الظلم أهل **تشابه وجنـاس**

. يكفيك طعم **جنسُهُ واحـد**

أطعمة ضرت **بتّجنيســها**

. أتضحي بالهم أم **أتمسـى**

وتقضي من الخطوب **التماسي**

وتتداعى القافية من **الهمـاس** إلـى **الشماس** إلى **عمـاس** إلـى **الهرمـاس** إلـى **المياس** إلى **التماسي** . ثانية . إلى **الأرماس** إلى **الغماسي**..إلى أن يقول:

أيما طارق أصابك يا طارق

حتى **مساك** للغي **ماسـي**

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

ثم إلى **الشماس** . مرة أخرى . والى **الأخماس**..إلى **الديماس:** ها هنا ما تريد قد **ظهر الأمر** الذي **قبل** في **الديماس،** إلى أن يعلمك فن العكس والتعاكس . تكتيك الماسون .:

. وكذا **الجمر** مثله **الرجم قد**

ميز بلفظ **مغير معكـوس**

. ما النحو والشعر والكلام وما

مرقش والمسيب بن علـس

بهذا ومثيلـه أكثر ممـا لا يتسع لـه أي نطـاق فـي حرف السين وفـي سـائر حروف المعجم..يتضح لماذا قال الرجل:

أرى الحى **جنسا** ظل **يشمل عالمي**

بأنواعه لا بورك **النوع والجنس**

وهو الذي يقول أيضا:

ما خص مصرا وبأ وحدها

بل كائن فى **كل أرض وبأ**

ومادام الوبأ أو الداء قديم قدم الأزل وكائن في كل أرض وكل زمان ويشمل العـالم كلـه ويعـم البـشرية عامـة بـشتى ألوانهـا وأشكالها وأجناسـها وفضائلها..أسـود وأبيض وأسمر بين ذلك لا يهم ومادامت كل الأزمنة يوم واحد هو السبت وذلك في الماضي والحاضر والمستقبل . ما لم تنته لعبة التنكر والتقمص والانسلاخ ويوضـع لها حد ..مادام الأمر كذلك فقد أخذ على عاتقه مهمة كشف اللعبة ووضـع الحد لها منذ تولى قيادة الكتيبة الخرساء ولذلك ليس أبو العلاء من أنصار الثورة ضد الأعداء في البلد الواحد وانما هو من دعاة الثورة العالمية العامة التى تشمل أيضا كل الأنواع والأجناس والفصائل البشرية وفي جميع بلدان وأنحاء العالم!

أنظـروا إلـى أي مدى طموح الرجل ومـدى تفاؤلـه رغم بـشاعة الـصورة التـى كشفها وسيكشفها هو نفسه، ورغم أنها تبدو باعثة على اليأس والاحباط وتبدو محالـة ولا معقولة ولذا قال:

لو قيل لم يبق سوى ساعة

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror

http://www.facebook.com/naguib.soror

أملت ما تعجز عنه سنة

إلـى هـذا الحـد كـان تفاؤلـه هـو الـذي اتهـم وطـوال ألـف عـام بتهمـة التشاؤم!.وتكتيكه ولغته وأسلوبه وذلك على أيدي الرواة والنقلة والشراح والنقاد والباحثين والدارسين، القدماء منهم والمحدثين والمعاصرين. ولكم تلح على هنا كلمات انجيلية شهيرة: "أما قرأتم قط فى الكتب: الحجر الذي رفضه البناؤن هو قد صار رأس الزاوية"!..فها هو الضرير يقود كتيبة بل كتائب المبصرين، وها هو "زعيم التشاؤم" يصير أكبرداعية من دعاة التفاؤل، وها هو الرجل المرفوض يصير الرجل المفروض!

****

ملاحظات:

(1) المدارس لليهود موضع تقرأ به التوراة!! (ن.س)

(2) أي أن الماسون في جميع النحل والصور، أما ذكر الهائدون هنا . أي اليهود ـ فهو من سبيل التمويه والمناورة لأن الماسونية هي الدين السري لليهود، وسيفعل هذا مرارا. (ن.س)

(3) الكلمات التي بالبنط العريض والتي يتضمنها الفصل الماثل من وضع نجيب سرور نفسه.

الفصل الثالث

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

الكتيبة الخرساء

"يكررني ليفهمنى رجال
كما كررت معنى مستعادا"
أبو العلاء

في مستهل لزوم ما لا يلزم . حرف الهمزة . وبعد تمهيد قصير يرسم به أبو العلاء صورة العصر كاشفا تناقضاته وموحدا أحيانا بين المتناقضات، ممهدا بذلك نفس وعقل القاريء للتلقي والفهم، وبعد أن يقول:

وما نوبُ الأيام إلا كتائب
تُبث سرايا أو جيوش تُعبأ

يطرح أبو العلاء المشكلة أو المهمة التي سيتفرغ لها في سجنه أو منفاه بالمعرة حتى يموت، والتى سيورثها أنصاره ومريديه في حياته وبعد مماته، والتى سيضرب لانجازها موعدا مقداره ألف عام، كما أشار إلى ذلك مرارا. يقول أبو العلاء:

يرتجي الناسُ أن يقوم إمام
ناطق فى الكتيبة الخرساء
كذب الظن لا إمام سوى العقل
مشيرا في صُبحه والمساء
فإذا ما أطعته جلب الرحمة
عند المسير والإرساء
إنما هذه المذاهب أسباب
لجذب الدنيا إلى الرؤساء
غرضُ القوم مُتعة لا يرقون
لدمع الشيماء والخنساء
كالذي قام يجمعُ الزنج بالبصرة

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

والقرمطي بالاحســاء

الكتيبة الخرساء..تلك هي حزب أبي العلاء، وهي البديل المطروح في مواجهة "نوب الأيام وسراياه المنبثة وجيوشه المعبأة"، أي الأحزاب والحركات والمذاهب والملل والنحل والفرق والطوائف، كحركة الزنج أو كالقرامطة، باعتبارها جميعا تجمعات يهودية .كما سيتضح فيما بعد .أو تسلل إليها اليهود وحرفوها عن طريقها كما سيتضح أيضا، ثم لأنها لا تفعل أكثر من أن تجلب الدنيا إلى الرؤساء الذين تتناقض دائما شعاراتهم مع أعمالهم.

ولكن أبا العلاء إذ يفشي سر الكتيبة الخرساء في أول الأبيات المذكورة عاليه إنما يوحي إلينا أيضا بأن هذه الكتيبة سابقة على أبي العلاء نفسه..فإن صح هذا . وهو صحيح . فما الذي أضافه أبو العلاء؟!

الحق انه أضاف الكثير ! فالكتيبة كانت من قبل تتبع الظن والوهم بأن تنتظر ظهور الإمام الناطق..الإمام الفرد..الإمام المهدي المنتظر أو المستبد العادل أو المخلص فى حلم طوباوي جميل لا يتحقق أبدا من جيل لجيل ولا من عصر لعصر. فجاء أبو العلاء ليقول: ليست القضية قضية انتظار واهم حالم لمخلص منشود وانما هي بث السرايا وتعبئة الجيوش واتباع العقل لا الظن فى التدبير مادامت الحركات المعادية حركات منظمة وسرية وباطنية. نعم لا يفل المكر إلا المكر، والذكاء إلا الذكاء، والخبث إلا الخبث، والسرية إلا السرية، والتنظيم إلا التنظيم. وإذا كان ميعاد الحركات المعادية كلها بعد ألف عام على أرض الميعاد، فلتكن المواجهة بعد ألف عام على أرض الميعاد "إن صدق الوعد فكيف لا يصدق الوعيد" كما يقول. إذن فلنعبيء لهذه المواجهة قوانا، كتائب وسرايا وجيوشا خرسا. يضرب أبو العلاء موعدا للقاء فى أكثر من مكان.

إنني أستبق الحديث عمدا لأوفر على القاريء مشوارا طويلا فى البحث والمراجعة والمعاناة، لأني أعلم أن قلة من القراء فى عالمنا العربي هي التى تصبر على قراءة التراث. إن أبا العلاء منذ الآن سينذر نفسه لمهمة المسير والإرساء، وسيرسم لكتيبته الخرساء خطتها وبرنامج عملها وطريقة العمل، وسيحدد لها الواجبات والالتزامات والمهام بين التكتيك والاستراتيجية. وسيحدد طريقة تجنيد العضو من

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror

http://www.facebook.com/naguib.soror

أعضاء الكتيبة الخرساء وطريقة تربيته والشروط الواجب توفرها فيه ودرجات ومستويات ومراتب الأعضاء. وسيستخدم في ذلك وعلى طول اللزوميات الضمائر الثلاثة، المتكلم والمخاطب والغائب، بذكاء منقطع النظير. وعليك أنت أن تكتشف من الذي يتكلم؟ ولمن؟ وعن من؟ وعن ماذا؟ وسيحاول جهده أن يُطهر أعضاء الكتيبة من الأوثان الوهمية والعقلية والنفسية والاجتماعية والسياسية والوراثية. وسيكرر نفسه بالحاح غريب ونادر وعنيد وسيكلف أعضاء الكتيبة أن يكرروه ليفهموه لأنه لم يكن ليستطيع أن يكون أكثر صراحة وإلا عرض نفسه للسيوف والصلبان، ولم يكن فى نفس الوقت ليستطيع أن يتخلى عن رسالته ودوره ومهمته والا لانتحر كما حاول فعلا مرة. من هنا كان غموضه النسبي وكانت المشقة فى قراءته لا لأنه حريص على حياته، فهو القائل:

من باعني بحياتي ميتة سرحا

بايعته وأهان الله من ندما

وانما لأنه حريص كما قلت على أداء رسالته وايصالها واستمرارها وكفالة جميع الضمانات لانجازها وتجنيب مسيرة الكتيبة الخرساء جميع احتمالات الخطأ والفشل والانحراف والشغب..جميع المحاذير أو المعوقات أوالمفاجآت على طول زحفها منذ المسير حتى الارساء منذ بداية الزحف حتى يوم المواجهة المنشود.

فيما هو يكشف للكتيبة الخرساء عن خطط وحيل جميع الحركات المعادية التى هي فى واقعها كما قال في أكثر من مكان حركات ماسونية يهودية أصلا:

لهم حيل فى حربهم ما اهتدت لها

جديس ولا ساست بها الملك جُرهم

فيما هو . على طول اللزوميات . يشكك في كل شيء بلا استثناء مما قاله أو قصه أو نقله الرواه، فاضحا جميع الاسرائيليات والأصابع الاسرائيلية التى مسخت وشوهت وحرفت وأبدلت كل شيء وعبثت بالأديان والمذاهب والأحزاب...إلخ

وكذلك يقول قبل الأبيات المذكورة:

أعللت علة قال وهي قديمة

أعيا الأطبة كلهم ابراؤها

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

ويقول:

فهمُ الناس كالجهول وما

يظفر إلا بالحسرة الفُهماء

ثم هو سيسوق فى اللزوميات حاشية السيرة الذاتية، فيحكي أحيانا عن تجاربه وعن حياته الخاصة، ليصحح ما يُقال أو ما سوف يُقال عنه من افتراءات في حياته وبعد مماته.

أقول سيكرر أبو العلاء هذا كله على طول اللزوميات وسيكلف القاريء غير الملول وغير المتعجل أن يكرر قراءته ليفهم عنه. ويمل هو نفسه التكرار ويوشك أن ينحدر إلى اليأس ثم يعود فيتماسك ويصبر ليستأنف بث تعاليم، صريحا تارة ومتخفيا تارات، طالبا من تلاميذه ومريديه وأنصاره وأعضاء حزبه أن يتفرقوا وينتشروا فى العالم المعروف حينذاك ويحملوا رسالته إلى شتى أرجاء الأرض ويعدوا العدة من رباط الخيل للمواجهة الحتمية القادمة:

فما حبس النفس المسيحُ تعبدا

ولكن مشى في الأرض مشية سائح

أما هو فمجبر بحكم عماه وعجزه على لزوم محبسه، أو محبسيه، أو الثلاثة محابس:

أراني في الثلاثة من سُجوني

فلا تسأل عن الخبر النبيث

لفقدي ناظري ولزوم بيتي

وكون النفس فى الجسد الخبيث

فاذا انتقلنا إلى رسالة الغفران وجدناه يشير في أكثر من مكان إلى هذه الكتيبة وإلى حيل وخطط الاعداد مما لا يتسع له هذا النطاق وخاصة على لسان الجن فى لقائهم مع ابن القارح، إلى أن يقول صراحة لابن القارح: "ودنانيره بإذن الله مقدسات..وإن كانت زائدة على الثمانين، فقد أوفت على عدة أصحاب موسى الذين جاء فيهم: [واختار مُوسى قومهُ سبعين رجُلا لميقاتنا]، وعلى عدة الاستغفار فى قوله

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

تعالى: [إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر اللهُ لهُم]، وعلى عدة أذرع فى السلسلة في قوله تعالى: [ثُم في سلسلة ذرعُها سبعُون ذراعا فاسلُكُوهُ] ".

وواضح أن عددى الثمانين والسبعين عددان رمزيان شفريان ولا يعنيان العدد الحقيقي، وهذا ما يقوله أبو العلاء بعد ذلك مباشرة. ولكن المهم أن هذه الدنانير . هذه الكتيبة .تتخذ من مصر بالذات مركزا لها. وهذا ما يوحي به قول أبي العلاء قبل ذلك مباشرة : "وسرتني فيئةُ الدنانير إليه فتلك أعوان، تشتبه منها الألوانُ، ولها على الناس حقوق، تبر إن خيف عقوق. قال عمرو بن العاص لمعاوية (بن أبي سفيان): رأيت فى النوم أن القيامة قد قامت وجيء بك وقد ألجمك العرقّ. فقال معاوية: هل رأيت ثم من دنانير مصر شيئا؟ وهذه لا ريب من دنانير مصر"!

أما قصة أبي العلاء مع مصر بالذات فتحتاج وحدها إلى بحث طويل ما بين سقط الزند واللزوميات ورسالة الغفران فله عنها كلام أكثر من أن يقع فى حصر. وأعد بأن أفرد له مقالة منفردة، ولكن حسبي هنا أن أشير إلى قوله:

ان نال من مصر قضاء نازل
فمصير هذا الخلق شر مصير

وقوله:

تتوى الملوك ومصر فى تغيرهم
مصر على العهد والاحساء احساء

وقوله:

ما خص مصرا وبأ وحدها
بل كائن فى كل أرض وبأ

وننتقل إلى رسالة ابن القارح فنراه يلمح كثيرا إلى المدسوس والمنحول والمصحف، ويحكي الحكاية التالية عن أبي الفرج الزهرجي: "لقيتُ أبا الفرج الزهرجي بآمد ومعه خزانة كُتبه، فعرضها على فقلتُ: كتُبك هذه يهودية، قد برئت من الشريعة الحنيفية، فأظهر من ذلك إعظاما وإنكارا، فقلت له: أنت على المُجرب، ومثلي لا يهرفُ بما لايعرف، وابلغ تيقن. فقرأ هو وولدُه وقال: صغر الخُبرُ (الاختبار) الخبر. وكتب إلى رسالة يُقرظُني فيها بطبع له كريم، وخُلُق غير ذميم".

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

وهو يقدم ثبتا طويلا بكتب ضاعت أو سرقت أو خبئت. ثم يحث أبا العلاء على أن يتخذ فى مبدأ دعوته أسوة فى صحابة النبي، ومنهم عُتبة بن غزوان: "كان عُتبة بن غزوان يقول إذا ذكر البلاء والشدة التى كانوا عليها بمكة: لقد مكثنا زمانا ما لنا إلا ورق البشام (شجر طيب الريح يستاك به، ولا ثمر له)، أكلناه حتى تقرحت أشداقُنا، ولقد وجدتُ يوما تمرة فجعلتها بيني وبين سعد بن أبي وقاص بن أهيب الزهري، وما منا اليوم أحد إلا وهو أمير على كُورة".

ثم دعوة النبي التى بدأت ضعيفة ثم ما لبثت أن قويت وانتشرت، متنبئا بذلك . ضمنا . لدعوة أبي العلاء.

أبو العلاء إذن قائد كتيبة وصاحب دعوة وفيلسوف ومنظم ومنظر ومخطط لحركة لم يكن لها منذ ألف عام إلا أن تلتزم التخفي والسرية.

فما هو تكتيك تلك الحركة؟

وما هي استراتيجيتها؟

وما هي تعاليمها ومبادؤها وأسسها ومنطلقاتها؟

ومن هم أعداء أبي العلاء؟

وأين هي هذه الكتيبة الآن؟ وهل صُفيت على مدى ألف عام من الخيانات أم ماذالت تتحرك تحت الأرض؟

لو أنا التفتنا إلى أبي العلاء منذ زمن طويل واكتشفنا سره لما أُخذنا على غرة ألوف المرات، ولو أننا صنّا تراثنا وطهرناه من المدسوس والمصحف . الاسرائيليات . لعرفنا أعداءنا من أصدقائنا، فضلا عن معرفتنا لأنفسنا، ولواجهنا خطط الأعداء بنفس المكر والخبث والذكاء ونمنا بعيون مفتوحة يقظة. ولعرفنا أن الذكاء العربي يزري كثيرا باسطورة الذكاء الاسرائيلي..ولكن دائما يفوت الأوان.

ان الفعل والفكر العالمي لم يلق مثلما لقى العقل والفكر العربي بالذات من صنوف الاغتيال البدني والروحي والقهر والحجر والمحاذير والقيود والمطاردة والتشريد والتجويع ..إلخ

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

لاغرو أن نعيش الآن فى ظل شلل فكري شامل ورهيب، حتى فقدنا الثقة بأنفسنا وبماضينا وحاضرنا ومستقبلنا، بل وفقدنا حتى مجرد غريزة الدفاع الشرعي عن النفس. ولكن لا داعي لأن نستبق الحديث.

إن علينا أن نتابع رحلتنا مع أبي العلاء، وسيأتي كل شيء فى حينه. وسنكتشف أن بروتوكولات حكماء صهيون مثلا وهى الصيغة القريبة والحديثة أو المعاصرة لمخططات الماسونية، أي اليهودية ، أي الصهيونية..إلى آخر ما يتفتق عنه الخبث اليهودي من أقنعة وألوان وجلود.

أقول إن البروتوكولات هي الصيغة القريبة والحديثة أوالمعاصرة لهذا المخطط الموجود تقريبا . وبطريقة رمزية . في التراث الفكري كله على مدى العصور، ولكن المفاجأة حقا هي أنه موجود أيضا في سقط الزند ولزوم ما لا يلزم وسالة الغفران والفصول والغايات!

****

الفصل الرابع

حملة أبي العلاء على الماسونية

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

"لقد اتهمتُ في مناسبات مختلفة بأنني متشائم، وهكذا أنا فيما يتعلق بعدم إيماني بأن المثُل الإنسانية العليا مطلقة. ولكنني في الوقت ذاته متفائل فيما يتعلق بإيماني التام المطرد بقدرة المثل العليا على الذيوع والتطور"!

هنريك إبسن

استطرادا فيما سبق من حديث، وقبل أن نصل إلى قصة الماسونية والموسوية واليهودية كما يتلوها الإمام الضرير في رسالة الغفران وغيرها من أعماله النثرية والشعرية، يحسن بنا أن نتأمل الأبيات التالية التي نتعمد أن نستبق بها الحديث . وإن كنا سنعاود الرجوع إليها في أمكنة أخرى . لكي نعد أنفسنا ونعد القارئ الذكي للولوج إلى عالم أبي العلاء، فسوف نلقى في هذا العالم . كما يلقى أبطال الأساطير أشياء وكائنات ورموزا وطلاسم خرافية ومهولة يجب مع ذلك ألا تغرينا بالهرب من هذا العالم أو بالزهد أو الكسل أو الجبن أمام صاحب هذا العالم!

. **تقادم** عمر الدهر حتى كأنما
نجوم الليالي شيب هذي الغياهب
يهودُ باغي الحاج والليلُ مسلم
على كُفره والأرضُ في زي راهب
تألفُ غي الناس **شرقا ومغربا**
تكامل فيهم **باختلاف المذاهب**
. **داء الحياة قديم** لا دواء له
لم يخل بقراط من سقم وأوصاب
تلك اليهودُ فهل من هائد لهمُ
والصابئون وكل جاهل صابي(1)
. استنبط العُرب لفظا وانبرى نبط
يخاطبونك من أفواه أعراب

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror

http://www.facebook.com/naguib.soror

كلمتُ باللحن **أهل اللحن** أنفُسهُم

لأن عيبي عند **القوم إعرابـي**

فلنقف هنا قليلا لنذكر قول أبي تمام:

لمدينة عجماء قد أمسى البلي

فيها خطيبا باللسان المعرب

وقوله أيضا:

سكن الكيد فيهم إن من أعظم

إرب ألا يُسمى أريبـا

مكرُهُم عندهُ **فصيح** وإن هُم

خاطبوا مكرهُ رأوهُ **جليبـا**

ثم قول المتنبي:

ولكن الفتى العربي فيها

غريب الوجه واليد واللسان

وقوله:

ملاعب جنة لو سار فيها

سليمان لسار بترجمان

ثم نرجع إلى أبي العلاء:

. ترائبي وهي مغنى **السر** ما علمت

به لدى فهل نالته أترابـي

. كل الذي تحكون عن مولاكـمُ

كذب أتاكم عن **يهود** يُحـبرُ

رامت به **الأحبارُ** نيل مـعيشة

في الدهر والعملُ القبيح يتبَرُ

. من أعجب الأشياء في دهرنا

والله لا ناس ولا والـثُ

اثنان باتا في فراش معـا

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

فأصبح بينهما **ثالــثُ**

. ولحب **الصحيح** آثرت الرومُ

إنتساب الفتى إلى **أمهاتــه**

جهلوا **من أبوهُ** إلا ظنُـونا

وطلا الوحش لاحق بمهاتـه

. فما أمنت نسوان قوم أعزة

على عزها أن تستباح فروجها

. وهل أبيحت نساء القوم عن عُرض

للعُرب إلا بأحكام النبــوات

. وقد كذب **الصحيح** بلا ارتيـاب

فهل صدق **الأصم** أو **الأشــج**(2)

. ولا تقبلوا من **كاذب** متسوق

تحيل في نصـر **المذاهب** واحتجا

. وكفرها ليل **ترهب** شُبهــه

تخال **يهودا** عاق عن سيرها **السبتُ**

. إذا افتكر الإنسان في أمر دينه

بدا نبأ يثني الحجى وبه كبتُ

فهل خبر عن أنفس بان وفدها

إلى اله معمور بأجسامها الخبثُ

. فما عذري **وعند الله** علمي

إذا كذبت قوائل **مسنداتُ**

. ولعل **عكسا** في الليالي كائن

فتعود في الشرفات متضعاتها

. ولا تطلبن اللباب **الصريح**

فقد **سيط** عالمنا و**امـتزج**

. أرى هذيانا طال في كل أمـة

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

يضمنه **إيجازها وشروحها**

. ومن تأمل أقوالي رأى **جُملا**

يظل فيهن **سر الناس** مشروحا

. ولقد علم المنجم ما يوجب

للدين أن يكون **صريحا**

. قد نُسخ الشرع في **عصورهم**

فليتهم مثل **شرعهم** نُسخوا

. وجدنا إتباع الشرع حزما لذي النهى

ومن جرب **الأيام** لم ينكر **النسخا**

فما بالُ هذا العصر ما فيه آيـة

من المسخ إن كانتُ **يهودُ** رأت **مسخا**

. فإن كنت ذا لب متين فلا تقس

بحمصك **والميماس** دجلة والكرخا

. لعل **نجوم الليل** تعمل فكرها

لتعلم **سرا** فالعيون سواهدُ

. عفاة القوافي كالذي ولُماتها

إذا هن **لم يوصلن** فاللفظ فاسدُ

. **لو** يفهم الناسُ ما أبنائهم جلب

وبيع بالفلس ألف منهُمُ كسدوا

. والناس في الأرض أجناس مُقلدة

كالهدى قُلد لم يذعرهُ تهـديدُ

. **سر قديم** وأمر غير متضح

فهل على كشفنا للحق إسعادُ

. أليس **قريشكم** قتلت **حسينا**

وصار على خلافتكم **يزيدُ**

. كن من تشاء **مهجنا** أو **خالصا**

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

وإذا رزقت غني فأنت السيدُ

. قد شيد القصر لسكانه

وغير من يسكنه الشائد

. يجمع الجنس شريفا ولقى

كحديد منه سيف وجلم

كفانا هذا مؤقتا!!

وهنا أذكر أن للعقاد كتابا بعنوان "إبليس" وعد في مقدمته بأن يختمه بفصل عن "الماسونية"..ولكن الكتاب صدر بدون هذا الفصل ونسي حاذفهُ الإشارة الواردة عنه في المقدمة، فمن الذي حذف ولحساب من؟!

ثم نرجع إلى أبي العلاء:

إن أكلتم فضلا وأنفقتم فضلا

فلا يدخلن **وال** عليكم

لا تولوا أموركم أيدي الناس

إذا رُدت الأمورُ إليكم

أما الخطاب هنا فواضح أنه موجه إلى الكتيبة الخرساء.

نعم..الحذر كل الحذر من السلطة!

. وهجن لذات الملوك زوالها

كما **غدرت** بالمنذرين **الهجائنُ**

. تشابه النجر فالرومي منطقه

كمنطق العُرب والطائي **مرطانُ**

. **والسر** ليس بمخزون على أحد

لكن **تكاثر** للأموال **خُـزانُ**

. إذا فاتهم طعن الرماح **فمحفل**

ترى فيه مطعونا عليه وطاعنا

. أحلل بمن شئت لا يعدمك نائبة

خان اليمانون طرا والشامونا

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

ثم ننتقل إلى رسالة الغفران لنسمع بعضا من قصة الماسونية على لسان الجني "الخيتعور، أحد بني الشصبان" والذي كنيته "أبو هدرش" والذي نؤكد هنا أن العقاد استوحى منه قصيدته الشهيرة "ترجمة شيطان" والذي يقول لابن القارح عندما سأله: "يا أبا هدرش، مالي أراك أشيب وأهل الجنة شباب؟"

"إن الإنس أكرمُوا بذلك وأحرمناهُ، لأنا أعطينا **الحُولة** (أي القدرة على التغير والتحول والتقمص) في الدار الماضية، فكان أحدنا إن شاء صار **حية** رقشاء، وإن شاء صار **عُصفورا**، وإن شاء صار **حمامة** (أي أنهم في جميع الأجناس والأنواع والأشكال)، فمُنعنا **التصور** في الدار الآخرة، وتُركنا على خلقنا لا نتغيرُ، وعُوض بنو آدم كونهم فيما حسُن من الصور. وكان قائلُ الإنس يقُولُ في الدار الذاهبة: أعطينا **الحيلة** وأعطى الجن **الحوُلة**. ولقد لقيت من بني آدم شرا، ولقُوا مني كذلك. دخلت مرة دار أناس أريد أن اصرع فتاة لهم، **فتصورتُ** في صورة **عضل** . أي جُرذ . فدعوا لي **الضياون** (جمع ضيون، وهو السنور الذكر)، فلما أرهقتني **تحولت صلا** أرقم، ودخلتُ في قطيل (المقطوع من أصل جذع) هناك. فلما علموا ذلك كشفوه عني. فلما خفتُ القتل **صرتُ ريحا** هفافة فلحقتُ بالروافد، ونقضُوا تلك الخُشُب والأجذال (الباقي من الأشجار بعد ذهاب فروعها) فلم يروا شيئا. فجعلوا يتفكنون (يتعجبون ويتفكرون) ويقولون: ليس ها هنا مكان يُمكنُ أن **يستتر** فيه. فبينما هُم يتذاكرون ذلك، عمدتُ لكعابهم في الكله (الناموسية)، فلما رأتني أصابها الصرعُ، واجتمع **أهلُها** من كُل أوب، وجمعوا لها **الرقاة**، وجاءُوا **بالأطبة** وبذلوا المُنفسات، فما ترك رافد رُقية إلا عرضها على **وأنا لا أجيبُ**، وغبرت **الأُساةُ** تسقيها الأشفية وأنا سدك بها **لا أزولُ**؛ فلما أصابها الحمامُ طلبت لي **سواها** صاحبة، ثم كذلك حتى رزق الله الإنابة وأثاب الجزيل، فلا أفتأ له من الحامدين".

أما كيف رزقه الله الإنابة والتوبة بعد هذا كله فهو مالا يقوله أبو العلاء، وإن كان يقول في مكان آخر من رسالته بأن الآخرة كالأولى كل شيء فيها بأرزاق!

ما علينا..فالمهم أنه يثبت هنا قدرة "الجن" على التحول والانقلاب والتنكر والتستر والخبث والمكر، ثم يعود فيذكر أشعارا لنفس الجني . أبي هدرش . فيثبت بها أشياء أخرى كثيرة وهامة، ولن أورد تلك الأشعار بنصها هنا لضيق النطاق، ثم لأن

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

القارئ الذكي يمكنه أن يرجع إليها كاملة في رسالة الغفران، والمهم فيها أن الجني مر بقرطبة وبالصين ويركب ذكر النعام تارة وثورا وحشيا تارة أخرى، ويحضر مجالس الشرب والطرب لينشر فيها ومن خلالها الفساد الذي يسر له إبليس، ويصرف بالختل الشهود العدول عن الأمانة إلى أن يخونوا ويشهدوا الزور، ويصرع من شاء وما شاء من النساء والأمهات، وأنه قديم قدم الأزل، فقد مر حتى بنوح الذي ذاده عن سفينته ضربا وطردا حتى كسرت ساقه، وأنه طار ونجا في زمن الطوفان، وأنه مر بموسى وهو يرعى غنم شعيب، وأنه حدث موسى ووسوس له، وأنه أضل رأي أبي ساسان .جد دولة الطبقة الرابعة من ملوك الفرس المعروفة بالساسانية .، وأنه سار مستخفيا في جيش سابور .وهو ابن أردشير حفيد ساسان بن بابك ثاني ملوك الدولة الساسانية الفرسية .، وأنه قلد السلطة لتابعه بهرام جور بن يزدجرد ملك الفرس وباني مدينة جور، ووضع التاج على رأسه ! وأنه مرة صل .والصل أو الثعبان أو الأفعى هو رمز الماسونية منذ أقدم العصور .، ومرة أخرى عصفور .كما قال قبل ذلك . إلى أن يقول:

تلوحُ لي الإنس عُورا أو ذوي حول

ولم تكُن قط، لا حُولا ولا عُورا

إلى أن يذكر توبته الكاذبة مرة ثانية، وإن كان لم يذكر كيف تاب وكيف رزق الخلد! فالأرزاق على الله كما يقولون والله لن يغفر لهم ولو استغفرت أنت لهم سبعين أو سبعين ألف أو مليون مرة! على أنه يتحتم علينا أن نذكر قول أبي هدرش هذا لابن القارح: "إنا أهلُ ذكاء وفطن، ولابُد لأحدنا أن يكون عارفا بجميع الألسُن الإنسية، ولنا بعد ذلك لسان لا يعرفهُ الأنيسُ" أي لسان خاص لا يعرفه سوانا، نتحاور به فيما بيننا، أما المعرفة بجميع الألسنة فمما يلزمهم لإمكان التغير والتحول والتصور بحيث شملوا البشرية والعالم في كل زمان!

ثم يدور بين الجني وابن القارح حديث طويل عن قصة الرجم .رجم النجوم . وهل كان الرجم في الجاهلية أم كان في الإسلام كما يقول بعضهم. وكيف أنه زاد في أوان المبعث بالذات "..وإن التخرص لكثير في الإنس والجن، وإن الصدق قليل..". والأهم من ذلك كله أن أبا هدرش هذا هو الذي أنذر الجن بالكتاب المنزل

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

حين كان في رفقة تريد اليمن فمروا بيثرب فسمعوا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد، ويزعم أنهم آمنوا به، وعاد إلى قومه فذكر لهم ذلك "فتسرعت منهم طوائفُ إلى الإيمان، وحثهُم على ما فعلوه أنهم رُجموا عن استراق السمع بكواكب مُحرقات"..يريد أبو العلاء أن يقول إنهم تسللوا إلى الإسلام كما تسللوا إلى سائر العقائد من قبل ومن بعد!!

ثم يعود أبو هدرش إلى الشعر فيقدم فيه ثبتا طويلا بأفعاله الجهنمية قبل المبعث وإبانه وبعده، فكم عروس . على حد اعترافه .:

غرتُ عليها، فتخلجتُها
بواشك الصرعة قبل المسيس
وأسلُكُ الغادة محجوبة
في الخدر، أو بين جوار **تميس**

إلى أن يقول:

تحملُنا في الجُنح خيل لها
أجنحة، ليست كخيل الأنيس

وبعد ذلك مباشرة يتخفى أبو العلاء في ثوب الجني أبي هدرش نفسه ليخاطب كتيبته الخرساء ناصحا إياها بأن تلزم تكتيك الجان هي أيضا لكي تهزمهم بسلاحهم وبطرائقهم وبأسلوبهم:

لا نُسك في أيامنا عندنا
بل نُكس الدينُ فما إن نكيس
فالأحدُ الأعظمُ والسبتُ
كالاثنين، والجُمعةُ مثل الخميس
لا مجُس نحنُ ولا هُود
ولا نصارى يبتغون الكنيس
نُمزقُ التوراة من هُونها
ونحطمُ الصلبان حطم اليبيس
نُحاربُ الله جُنودا لإبليس

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

أخي الرأي الغبين النجيس

نُسلمُ الحكم إليـه . إذا

قاس، فنرضى بالضلال المقيس

فيظن القارئ المتعجل أن الذي ما زال يتكلم هو أبو هدرش مع أنه أبو العلاء يتكلم إلى كتيبته الخرساء ثم يتكلم بلسانها. إنه بمنهج التعاكس يلزمهم هنا بما لا يلزم من الكفر والزندقة والإلحاد والخبث والمكر الخ، لكي يلزمهم بما يلزم وهو الإيمان والتوحيد. فلا يفل المكر غير المكر بالمكر. إن على أعضاء الكتيبة أن يخفوا إيمانهم وأن يعلنوا الضلال بكل الصور الممكنة كنوع من ذر الرماد في العيون المتربصة بهم في كل زمان ومكان أو كنوع من سحب الدخان التي تعمي الأعداء:

أما الهدى فوجدته ما **بيننا**

سرا ولكن الضلال جهار

الظاهر شيء، والباطن شيء آخر!..ألهذا يقولون: إن المعنى في بطن الشاعر؟! إذن فالاسم الحقيقي . بالمعكوس . للزوميات أبي العلاء هو "لزوم ما يلزم" لا "لزوم مالا يلزم" فلقد لزم ما لا يلزم ليفرض على كتيبته أن تلزم ما يلزم، بأن تلزم المعكوس لتعيد عكسه، والمقلوب لتعيد قلبه، والمبدل لتعيد إبداله!!

أستاذ الديالكتيك هو أبو العلاء قبل ديالكتيك هيجل المثالي وقبل ديالكتيك ماركس المادي. ولكن هذا يحتاج وحده إلى دراسة مطولة ليس هذا مكانها. فالمهم الآن أن أبا العلاء يعود فيترك لسان الحال إلى أبي هدرش ويمزج تارة ويفرق أخرى بين لسانه هو ولسان الجني الذي يواصل تعداد "مآثره" الشيطانية فيذكر أنه نادم قابيل وشيثا وهابيل، كما عاشر لقمان ورهطه، وأنه "جاهد" في بدر و"حامي" في أحد، وأنه راع في غزوة الخندق "الرئيس" أي أبا سفيان! وأنه مشى وراء جبريل وميكائيل وغيرهما من الملائكة الذين حاربوا مع المسلمين في تلك المعارك، وأنه طار في اليرموك فوق حصان حين اشتد الضرب والطعن كما سبق أن طار في زمن الطوفان!..وأنه حضر واقعة الجمل كما حضر واقعة صفين بين على ومعاوية وأنه سار قدام على في واقعة النهر، وبعد ذلك كله صادفته التوبة!..

للدليل بقية..

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror

http://www.facebook.com/naguib.soror

****

ملاحظات:

(1) أنظروا إلى "تلك اليهود" التي تعود على "الداء القديم"، مع ملاحظة...... (ن.س). (للأسف، تكملة الملاحظة ليست واضحة في النسخة المتاحة).

(2) ملحوظة كتبها نجيب سرور ليست واضحة تماما في النسخة المتاحة.

(3) الكلمات التي بالبنط العريض والتي يتضمنها الفصل الماثل من وضع نجيب سرور نفسه.

الفصل الخامس

لمن كُتبت رسالة الغفران؟

"أنا أقول: إن أي مقاتل فكري فى الخطوط الأمامية لا يمكن أن يحصل على أغلبية.."

هنريك إبسن

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

"لقد قمت بحل جميع المشاكل في عصرنا تقريبا، ولكنها تُعرض دائما على بساط البحث كما لو لم يكن لي وجود على الإطلاق!"

برنارد شو

في نفسي أشياء كثيرة من رسالة الغفران أحس بأننا في مسيس الحاجة إلى أن نتزود بها في رحلتنا الطويلة والشاقة مع أبي العلاء! وقد تخطيتها عمدا لأن لا حصر لها . من ناحية . وليقيني من أن القاريء الذكي قادر على التقاطها بنفسه وإعمال الفكر فيها . من ناحية أخرى . وإن كنت سأضطر أحيانا في أمكنة ومناسبات قادمة للرجوع إلى بعضها!

والآن ننتقل إلى الجزء الثاني من الرسالة حيث يتصدى أبو العلاء للرد مباشرة على رسالة ابن القارح، بعد أن رد عليها بطريق غير مباشر في الجزء الأول الذي يغطي الرحلة المتخيلة لابن القارح بين الفردوس والجحيم!..ويبدأ أبو العلاء رده في هذا الجزء كما يلي: "فهمتُ قوله: جعلني اللهُ فداءه"!

وكأن ابن القارح كان يتوقع ألا "يفهم" أبو العلاء قوله، أو كأن القاريء كان يتوقع هذا!! فماذا في عبارة ابن القارح البسيطة السهلة "جعلني الله فداءه" مما يمكن أن يصعب على "فهم" أي إنسان . فضلا عن أبي العلاء . حتى يحتاج فهمه إلى هذا التأكيد الإخباري من جانب أبي العلاء؟! لا شيء من هذا القبيل على الإطلاق!.."جعلني الله فداءه" تعني جعلني الله فداءه ليس غير وكان الله يحب المحسنين!..هذا فى الظاهر! أما في الباطن فإن لـ "جعلني الله فداءه" عند ابن القارح وفيما بينه وبين أبي العلاء أشياء أخرى متفق عليها شفريا أو اشتراطيا أو اصطلاحيا، فهمها أبو العلاء، وكان من الضروري أن يطمئن ابن القارح على أنه فهمها ويؤكد له ذلك. للعبارة إذن . فيما بين الرجلين . معان غير معناها اللفظي الحرفي اللغوي الظاهري السطحي. إنها عبارة "سرية" بلغة أو بمعجم تم الاتفاق عليه قبلا بين الرجلين، إنه معجم العلماء لا معجم العامة، أو معجم خاص بالمتراسلين لا عام!..

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror

http://www.facebook.com/naguib.soror

من هنا تصبح كلمة "فهمت" ضرورية جدا في الرد، لا غريبة كما بدت للوهلة الأولى! إذن فرسالة ابن القارح كلها شفرية من باب أولى، ولهذا جاءت رسالة الغفران كلها شفرية، وبجزأيها المباشر وغير المباشر..أنظروا إلى ديالكتيك أبي العلاء وهو يسوق المباشر في غير المباشر وغير المباشر في المباشر، ويظل مع ذلك شفريا وغير مباشر، ويظل في نفس الوقت صريحا ومباشرا.

هل يمكن لأحد أن يصطاد هذا البهلوان؟!

وهل كان يمكن أن ينجو من السيوف المشرعة، لو لم يكن ماهرا إلى هذا الحد في البهلوانية، ولو لم يكن يملك عقلية ديالكتيكية فذة ونادرة لم يرق إليها أحد من سابقيه أو لاحقيه على إطلاق..من المثاليين والماديين على السواء؟!

كلمة "فهمت" هنا في مطلع الجزء الثاني من رسالة الغفران، تشبه إلى حد كبير كلمة "وصلت" في مطلع الجزء الأول من الرسالة، في قوله لابن القارح: "وصلت الرسالة"!..فابن القارح في حاجة فعلا إلى أن يطمئن على "وصول" رسالته إلى أبي العلاء. فقد كان يخشى عدم وصولها، لأنه يتوقع أسوأ الاحتمالات لرسالة منه بالذات إلى أبي العلاء بالذات في تلك الظروف بالذات!..خاصة وأن هناك سابقة خطيرة يذكرها ابن القارح في رسالته فيقول: "كان أبو الفرج الزهرجي كاتب حضرة نصر الدولة (أحمد بن مروان، أبو نصر، صاحب ميافارقين وديار بكر) . أدام الله حراسته . كتب رسالة إلى أعطانيها، ورسالة إليه (يقصد إلى أبي العلاء) . أدام الله تأييده . استودعنيها، وسألني إيصالها إلى جليل حضرته...فسرق عديلي رحلا لي، الرسالة فيه، فكتبتُ هذه الرسالة (يقصد رسالته) أشكو أموري"!!

ويعلق أبو العلاء في رسالته على هذه الحادثة أو السابقة التي لابد أن تكون أثارت مخاوفه وقلقه على أسراره وأسرار حزبه . الكتيبة الخرساء . وأورثته الحزن والرعب أو لفتت نظره إلى تربص "اللصوص" . الأعداء. به..فهو يقول: "..وددتُ أن (الرسالة) وصلت إلي، ولكن ما عدل ذلك العديل...هلا اقتنع بنفقة أو ثوب، وترك الصحُف عن نوب (يعني هلا ترك الصحف وسرق المتاع)؟ فأرب من يديه، ولا اهتدى في الليلة بفرقديه (يدعو على اللص أملا في أن يضله الله فلا يهتدي إلى

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

مضمون الصحف). لو أنه أحدُ لصوص العرب الذين رُويت لهم الأمثالُ السائرةُ وتحدثت بهم المُنجدةُ والغائرة، لما اغتفرتُ ما صنع بما نظم، لأنه أفرط وأعظم"!

إلى هذا الحد كان حزن أبي العلاء لضياع رسالة أبي الفرج الزهرجي إليه . ولابد أنها أيضا كانت شفرية . من ثم كان من واجبه فى مطلع رسالة الغفران أن يطمئن ابن القارح على وصول رسالته، من ثم تصبح كلمة "وصلت" مثل كلمة "فهمت" ضرورية للغاية لا زائدة ولا غريبة، ولا من باب تحصيل الحاصل..إلى دلالتها الاصطلاحية الاتفاقية الشفرية، وهي تعبر في نفس الوقت عن الأخطار المحدقة بأبي العلاء وبابن القارح وبأبي الفرج الزهرجي وبأعضاء كتيبة أبي العلاء الخرساء في مصر الفاطمية . دنانير مصر . كما يسميهم أبو العلاء، وبهم جميعا فى كل مكان من العالم العربي والعالم المعروف حينذاك الذي توزعت فيه الكتيبة أو بذرت فيه بذورها!

ولكن لماذا استعمل أبو العلاء كلمة "الصحف" في تعليقه على حادثة السرقة بدلا من كلمة "رسالة" الواردة على لسان ابن القارح في النص المذكور عاليه؟! ألا يوحي هذا بأن السرقة وقعت على نص أكبر بكثير من أن يكون مجرد رسالة مختصرة في حجم رسالة ابن القارح التي "وصلت"؟!..ثم ألا يمكننا أن نتوقع من رجل كأبي الفرج الزهرجي صاحب خزانة الكتب التي عرضها على ابن القارح فقال الأخير عنها إنها جميعا "يهودية"، والذي يقول عنه أبو العلاء: "وأما أبو الفرج الزهرجي فمعرفته بالشيخ (أي ابن القارح) تُقسمُ أنه للأدب حليف، وللطبع الخير أليف".

أقول ..هل يمكن أن يكون . هذا الرجل . قد كتب مجرد رسالة لأبي العلاء، خصوصا وأنها كانت الرسالة الأولى؟!..أم نستنتج من تسمية أبي العلاء لها بـ "الصحف" بدلا من "الرسالة" أنها كانت عملا ضخما أو كبيرا ووثائقيا، وأنها قد تفوق في الأهميةمرارا رسالة ابن القارح التي احتفظ بها التاريخ على غير عادته إزاء تراثنا العربي الحسير؟!..الدليل على أهمية رسالة الزهرجي الضائعة يكمن أيضا في كون أبي العلاء ظل يأمل . وربما طويلا . في ألا يهتدي ذلك العديل اللص إلى مضمونها الحقيقي!..مما يؤكد شفرية الصحف أو الرسالة.

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

أما ابن القارح فواضح أن رسالته إلى أبي العلاء لم تكن الرسالة الأولى وأن رسائل أخرى كثيرة . ربما . قد سبقتها وربما لحقتها أيضا وإن لم "تصل" إلينا!..فما كان لابن القارح أن يكتب رسالته هذه الشفرية لأبي العلاء بغتة أو صدفة قبل أن يكون الاتفاق قد تم بينهما سلفا على لغة التخاطب والتراسل الشفرية، هذا الاتفاق الذي يمكن ابن القارح من أن يكتب وأبا العلاء من أن "يفهم" ثم يرد وهكذا!..هذا يقطع بأن ابن القارح كان أحد أعضاء أو جنود الكتيبة الخرساء في مصر الفاطمية، وربما كان زعيمها في مصر ولم يكن بالشخصية الهامشية البسيطة كما ذهب إلى ذلك طه حسين وبنت الشاطيء ولويس عوض وغيرهم!..فليس من المتصور ولا من المعقول أن يكتب أبو العلاء رسالته هذه الخطيرة . الغفران . ردا على رسالة ابن القارح التي لا تقل عنها خطورة لو كان الأخير رجلا من هذا الطراز الهامشي!

فهو قد استطاع أن يقنع أبا الفرج الزهرجي بأن خزانته كلها يهودية، حتى لقد كتب إليه رسالة يقرظه فيها بعد أن تحقق من ذلك!..وهذا يدلل على سعة اطلاعه!..ثم هو قد تحدى الزهرجي لأنه كما يقول عن نفسه: "لا يهرف (يهذي) بما لا يعرف"، ثم هو كما يقول لأبي العلاء في ترجمته الذاتية: "كنتُ أدرس على أبي عبد الله ابن خالويه رحمه الله، وأختلفُ إلى أبي الحسن المغربي...ثم سافرتُ إلى بغداد ونزلت على أبي على الفارسي، وكنتُ أختلفُ إلى عُلماء بغداد: إلى أبي سعيد السيرافي، وعلى ابن عيسى الرماني، وأبي عبيدة المرزباني، وأبي حفص الكتاني...وكتبتُ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم...ثم سافرتُ منها (من بغداد) إلى مصر، ولقيتُ أبا الحسن المغربي فألزمني أن لزمته لزوم الظل"، مما يشير إلى أن أبا الحسن المغربي هو الأستاذ الأكبر لابن القارح . قبل أبي العلاء . وإلى أنه هو الذي عرفه بأعمال أبي العلاء وربما جنده في الكتيبة الخرساء فى قوله: "ألزمني أن لزمته لزوم" مشيرا إلى "لزوم ما لا يلزم" بالتأكيد!..

وهو هنا ينبيء أبا العلاء بأنه درس وفهم على يدي أبي الحسن المغربي "اللزوميات"، كما يشير إلى أنه انضوى منذ ذلك الحين تحت لواء الكتيبة الخرساء تماما كأبي الحسن وذلك بقوله: "وكنتُ منه مكان المثل"، وهذا يشير أيضا إلى أن ابن القارح لا يقل عن أبي الحسن ذكاء ولا عقلا ولا علما ولا اطلاعا..ثم يذكر ابن

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror

http://www.facebook.com/naguib.soror

القارح أن المغربي قال له سرا: "ما نرضى بالخمول الذي نحن ُفيه"، فقال له: "وأي خمول هنا؟! تأخذون من مولانا (يقصد الحاكم بأمر الله) . خلد الله ملكه. فى كل سنة ستة آلاف دينار (ربما كان هذا عدد الدنانير في مصر، أي أعضاء الكتيبة الخرساء، وربما أراد أن يخبر أبا العلاء بهذا من خلال حكايته عن أبي الحسن المغربي)، وأبوك من شيوخ الدولة وهو معظم مكرم"!

فقال المغربي: "أريد أن تُصار إلى أبوابنا الكتائبُ والمواكبُ والمقانبُ (جمع مقنب وهو جماعة من الخيل تجتمع للغارة)، ولا أرضى بأن يُجرى علينا كالولدان والنسوان!"..ثم هو . ابن القارح . رجل اشتغل فى خدمة القائد أبي عبد الله الحسين بن جوهر فأصبح قريبا من الحاكم بأمر الله (أبو على منصور الفاطمي صاحب مصر والشام والحجاز والمغرب)، أي من السلطة، فلما قتل الحاكم القائد بن جوهر قام ابن القارح بتهريب أولاده من مصر: "فجاءني أولاده سرا...فقلتُ لهم: خيرُ مالي ولكم الهربُ، ولأبيكم ببغداد ودائعُ، خمسمائة ألف دينار (ربما كان هذا هو عدد جنود الكتيبة الخرساء يومذاك فى العراق!)، فاهربوا وأهربُ. ففعلوا وفعلتُ. وبلغني قتلهم بدمشق وأنا بطرابلس"!...

فهل كان القائد ابن جوهر المقتول من جنود الكتيبة الخرساء واكتشف الحاكم ذلك فقتله وطارد حتى أولاده فقتلهم فى دمشق؟ هذا مؤكد..ويتضح من رعاية ابن القارح لأولاد القتيل وهروبه معهم من مصر !

ثم هو . ابن القارح . الذي قام بتربية أبناء أستاذه أبي الحسن المغربي، لم يشذ منهم إلا أبو القاسم المجنون! ثم هو كما يقول عن نفسه: "..كنتُ أكتبُ خمسين ورقة فى اليوم. وأدرس مائتين...ومعي بقية نزرة يسيرة من جملة كثيرة. لو وجدتُ ثقة أعطيتهُ إياها ...وأنا أجدُ من أدفعُها إليه وبقى أن يردها إلى!". أي أنه رجل يعرف ما يمكن أن يكون حتى أبو العلاء فى حاجة إليه..للاطلاع..وأنه أرسل له قبل ذلك أشياء يسأله ردها إليه، وأنه ما زالت لديه بقية من كثير يمكنها أن تفيده وأنه يود لو يعرف رد أبي العلاء فيما ورد بها. ثم رسالة ابن القارح ذاتها والثبت الطويل بالكتب والأخبار والقضايا والرواة والفقهاء والعلماء...إلخ

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

كل هذه المعارف وكل هذا الاطلاع إلى جانب ذكاء خارق وعلم محيط مستبصر، إلى جانب علاقات سياسية شديدة وواسعة لشدة قربه من رجالات السلطة الفاطمية، إلى جانب قدرته . التي لم يعد هناك شك فيها . على فهم أعمال أبي العلاء عامة ولزومياته خاصة، إلى جانب اطلاعه على رسائل لأبي العلاء لم تصل إلينا في قوله: "..ولقد سمعتُ من رسائله عقائل لفظ إن نعتها فقد عبتها"! كل هذا ويظل ابن القارح هذا في نظر الباحثين والدارسين والشراح رجلا هامشيا لا يعتد به ولا يحسب له حساب، كما يظل من غير المفهوم أن يكتب أبو العلاء رسالة الغفران إليه أو حتى أن يهتم بالرد عليه؟

هذا أمر يدل على انعدام البصر والبصيرة معا!!

بقيت فى النفس أشياء أخرى!

فقد كتبت فى غير هذا المكان أقول إن ابن القارح إسم مستعار أو إسم حركي تتخفى وراءه شخصية كبيرة وهامة جدا، وأنه لابد أن يكون هو نفسه داعي الدعاة الفاطمي "أبو نصر بن أبي عمران" الذي كتب إلى أبي العلاء باديء ذي بدء يتحداه ويستفزه ويستدرجه إلى البوح بسره ومذهبه، ثم استمرت بينهما الرسائل، حتى لقد ظفر منها "ياقوت" على "مجلد كامل" ثم "انقطع الخطاب بينهما على المساكتة"!

ألا يمكن أن تكون هي نفس "الرسائل" التى ذكرها ابن القارح آنفا، والتى قال إنه إن نعتها فقد عابها؟! ثم لماذا انقطع الخطاب بين داعي الدعاة وأبي العلاء على المساكته بتعبير ياقوت؟!

ألا يعني هذا أن داعي الدعاة انسلخ من جلد الفاطمية وانضوى تحت لواء الكتيبة الخرساء؟ ألا يعني أن "مجلد" الرسائل بينهما كان يتضمن ما من شأنه أن يفحم داعي الدعاة ويقنعه ويلزمه . هو الآخر. بأن يلزم أبا العلاء كما يلزمه بالصمت والخرس نزولا على تعاليم أبي العلاء ولذلك اتفقا على "المساكته" فى الظاهر وعلى التراسل الشفري في الباطن، ومن هنا رسالة ابن القارح؟!

إن داعي الدعاة فى ختام رسائله، وقبل أن يلزم "السكوت"، يقول عن أبي العلاء: "..ولأنني إذا تتبعت فضله بصناعته فى الأدب والشعر وجدتُ فى أرضه مُراغما كثيرا وسعة، ومن أين لى أن أظهر على مكنون جواهر علوم دينه كظهوري

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror

http://www.facebook.com/naguib.soror

على مصنفات أدبه وشعره..وقبل وبعد فأنا أعتذر عن سر لـه أدام الله حراسته أذعته، وزمان منه بالقراءة والاجابة شغلته، لأنني من حيثُ ما نفعتهُ ضررته، والله يعلمُ أني ما قصدتُ به غير الاستفادة من علمه، والاغتراف من بحره، والسلام".

هل عرف داعي الدعاة سر أبي العلاء أم لا؟! إن النص السالف يوحي بأنه عرف بقدر ما يوحي بالعكس!..وقد يمكننا أن نأخذه على محمل التغطية والتخفي!

هل يمكن أن تكون "المساكتة" بعد ذلك حقيقية وفعلية؟ لا يمكن..لا يمكن بحال!..ألا يمكن أن تكون رسائل داعي الدعاة، بالصورة التي وصلتنا عن ياقوت شفرية هي الأخرى أسوة برسالة ابن القارح؟!..يمكن..يمكن جدا.

لابد أن أبا العلاء قد أجاب داعي الدعاة أيضا على هذه الرسالة الختامية، واطلع ياقوت على الاجابة وإن آثر .لسبب ما .ألا يطلعنا عليها. بل ان حجبها يصبح من أوجب الواجبات على ياقوت بعد أن تجاوز الأمر التراسل الفضولي من جانب داعي الدعاة إلى الانخراط السري تحت لواء الكتيبة الخرساء، مما يعني أن "الاتفاق على المساكتة" مجرد مزعم ياقوتي صرف.

إنني أشم فى رسائل داعي الدعاة ما يكاد أن يكون صورة طبق الأصل مما ورد فى رسالة ابن القارح..نفس لسان الحال تقريبا..مع ملاحظة أن رسالة ابن القارح كتبت بعد المساكتة، بينما كتبت رسائل داعي الدعاة قبل المساكتة!

ولكن لماذا لم يسجل ياقوت جميع الرسائل أو "مجلد" الرسائل الذي ظفر به عما دار بين داعي الدعاه وأبي العلاء؟! إنه يقول بأنه حرص على أن يقف "على صورة ما دار بينهما على وجهه"!..أهو مجرد الكسل كما يذكر ذلك بقوله: "ونقلها على الوجه يطول فلخصت منها الغرض دون تفاصح المعري وتشدقه"، أم هو الضيق بتفاصح وتشدق المعري؟!..أم ماذا؟!

واضح جدا أن ياقوت يدرك أهمية وخطورة تلك الرسائل بدليل "اشتهائه" أن يظفر بها ويقف عليها وعلى وجهها التام.

معنى كلام ياقوت أنه نقلها على غير وجهها دون ما اسماه تفاصحا وتشدقا من جانب المعري.

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror

http://www.facebook.com/naguib.soror

واضح أن هجومه على المعري نوع من التحوط والتستر. يدرك ياقوت إذن خطورة تسجيل الرسائل على وجهها حتى لا يفضح نفسه ويفضح أبا العلاء وداعي الدعاة ويكشف سر اتفاقهما . الظاهري . على المساكته! إنه الحرص الشديد على النفس وعلى أبي العلاء وعلى داعي الدعاة، لا الكسل ولا الضيق بتفاصح أو تشدق المعري ولا عدم الادراك لخطورة الرسائل.

هذا يؤكد أيضا أن ياقوتا كان من جنود الكتيبة الخرساء، وأنه خشي أن يعرض أسرارها لأخطار محدقة، فآثر إخفاء أغلب الرسائل واكتفى بتلخيص صغير أو هزيل . غير شافي . وعلى غير الوجه الذي كتب به أصلا مما ليس من شأنه أن يهدد بأي خطر!

لم يغب عن ياقوت وصية أبي العلاء لمريديه:

إذا كان التقارض من محال

فأحسن من تمادحنا التهاجي

محرضا إياهم على هجائه بدلا من مدحه مادام فى هذا ضمان لسلامته وسلامتهم!

ويكرر ذلك بقوله:

وخمولي يذود عني الرزايا

نام عني الأذى فلم ينتبه لي

كما لم يكن غائبا عنه وهو يتهم المعري بالتفاصح والتشدق قوله متبرئا من التفاصح والتشدق:

من يبغ عندي نحوا أو يرد لغة

فما يساعف من هذا ولا هذي

وقوله:

ما النحو والشعر والكلام وما

مرقش والمسيب بن علس

****

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

الفصل السادس

الطبيعة الشفرية لرسالة الغفران

ماذا عن الجزء الثاني من رسالة الغفران؟

وكيف نأخذ هذا الجزء هو الآخر..أعلى الوجه الوارد به، أم على الوجه المعكوس؟ أعلى الوجه المباشر أم غير المباشر؟ أعلى الوجه الظاهري أم الباطني؟!.لقد فرغنا . فيما أرجو . من إثبات الطبيعة الشفرية لرسالة الغفران كلها وكذلك رسالة ابن القارح، كما رأينا ديالكتيك أبي العلاء يفرق بين المتناقضات ويجمع بينها ويبادل بعضها بالبعض في وقت واحد، ورأينا كيف أنه يتحدث عن المباشر بطريقة غير مباشرة وعن غير المباشر بطريقة مباشرة، ويستبدل هذا بذاك وهكذا. ولكن على أي وجه أخذت رسالة الغفران عامة والجزء الثاني منها خاصة . والمفروض أنه الجزء المباشر . فلسوف نكتشف هنا أشياء هامة وخطيرة وباعثة على الفضول!

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

والمهم أنك على أي وجه أخذت الجزء الثاني من الغفران، فإنك ستكون قد أخذته بالطريقة التى يراها أبو العلاء!! تلك الطريقة التى أفشاها على لسان عمرو بن أحمر، حين جعل ابن القارح يسأله عن قوله:

بان الشبابُ وأخلف العمرُ

وتغير الإخوانُ والدهرُ

ويقول له: إن الناس اختلفوا في تفسير "العمر" - بفتح العين. فقيل إنه يريد "البقاء"، وقيل إنه أراد "الواحد من عُمُور الأسنان، وهو اللحم الذي بينها". فيقول عمرو متمثلا:

خُذا وجه هرشي أو قفاها فإنه

كلا جانبي هرشي لهن طريق

أي أن التأويلين صحيحان..الوجه والقفا. وبهذا يعطيك أبو العلاء أحد المفاتيح الرئيسية اللازمة لفهم كل ما كتب! فلنأخذ وجه رسالة الغفران أو قفاها، فإننا سنكون على الطريق إلى عالم أبي العلاء!

إنه أولا يحذر ابن القارح من المنافقين والخونة..حرصا منه بالطبع على سلامة الكتيبة الخرساء!..

ثم يحضه على الاحتراز منهم إلى أبعد الحدود وبخاصة النساء..ونساء معينة بالذات كما سنرى، لا النساء عامة وعلى إطلاق كما ظن القدماء والمحدثون من الشراح والنقاد على السواء. يقول المعري: "لو قالت شيرين الملكة (ملكة الفرس وزوجة كسرى أبرويز) لكسرى(أبرويز): جعلني الله فداءك. وهي نفس العبارة التى قالها ابن القارح لأبي العلاء فى مطلع رسالته والتى وقفنا عندها بما فيه الكفاية. لخالبته فى ذلك ونافقته، وإن راقته بالعطل (أي بغير حلي، لاستغنائها عن الحلي بجمالها) ووافقته"..

إلى هذا الحد كان الرجل يكره ويخشى المنافقين والخونة وخصوصا من جانب النساء، لأن بينهن . كما سنرى . اليهوديات والمهودات، وسيكرر الإلحاح على هذا فى كل أعماله، ويقول: "..وإنما أفرقُ من وقوع هذه الرسالة فى يد غُلام مُترعرع، ليس إلى الفهم بمتسرع، فتستعجمُ عليه اللفظةُ، فيظل معها فى مثل القيد..وكم

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror

http://www.facebook.com/naguib.soror

خالبت الذئاب السلقُ (جمع سلقة وهي أنثى الذئب)، وفي الضمائر تكن الفلقُ (جمع فلقة وهي الداهية)..يقول القائل: بأبي أنت، جاد عملُك وأتقنت! ولو قدر لبت الودج (عرق الذبح)، وإنما جامل وسدج (أي كذب)...وكيف يُعتبُ الزمنُ على تجافيه؟ وإنما خُشي بشر وغدر...وما أقل صدق الآلاف".

ثم يقول بحزن شديد وحسرة مرة إزاء الافتراءات عليه وعلى سبيل التغطية فى نفس الوقت: "إني لمكذوب عليه كما كذبت العربُ على الغُول...وكما تقولت الأمثالُ السائرةُ على الضب...وكما تكلمت على لسان الضبع وهي خرساءُ. يُظن أنني من أهل العلم، وما أنا له بالصاحب ولا الحلم. وتلك لعمري بلية، تُفتقد معها الجلية. والعلُومُ تفتقر إلى مراس...ويُقالُ إنني من أهل الدين، ولو ظهر ما وراء السدين (بمعنى الستر والحجاب)، ما اقتنع لى الواصفُ بسبب...ولو أني لا أشعُرُ بما يُقالُ في، لأرحتُ من إنكاري وتلافي، وكنتُ كالوثن: سواء عليه إن وُقر من الوقار، وإن أوقر من الأوقار، وكالأرض السبخة: ما تحفلُ أن قيل: هي مريعة، أو قيل لها بئست الذريعة"!

وهنا نذكر قوله فى اللزوميات:

ولما رأيت الجهل فى الناس فاشيا
تجاهلت حتى ظن أني جاهل

وقوله:

أقررت بالجهل وادعى فهمي
قوم فأمري وأمرهم عجب

وقوله:

الله يشهد أني جاهل ورع
فليحضر الناس إقراري وإشهادي

لكم يخشى ضياع الرسالة ثم وقوعها فى يد من يصبر على قراءتها وفك رموزها!

ثم نرجع إلى قوله: "..وكيف أغتبطُ إذا تُخرص على، وعُزيت المعرفةُ إلى؟ ولست آمنا فى العاقبة، فضيحة غير مُصاقبة؛ ومثلي إن جذلتُ بذلك مثلُ من اتهم

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror

http://www.facebook.com/naguib.soror

بمال...فسرهُ قول الجهلة: إنه لحلفُ اليسار، والذهب فى يمينه واليسار. فطلب منه بعضُ السلاطين أن يحمل إليه جُملة وافرة (من المال)، فصادف أُكذُبة زافرة، وضربهُ كي يُقر وقُتل فى العقوبة ولم يُعط البر"!

إلى هذا الحد يتوقع الرجل القتل ويخشاه فيما لو انكشف أمره أو سره، ويفرق من أن تؤدي الأقاويل عنه . المفتراه وغير المفتراه . إلى لفت نظر "السلطة" . أية سلطة . إليه فضلا عن أن هذا يمكن أن يجتث كتيبته الخرساء من جذورها ومنها ابن القارح!

أعرفنا لماذا أوصى مريديه وبإلحاح بأن يتعمدوا هجاءه ويتجنبوا مدحه، وأن يتهاجوا فيما بينهم بدلا من أن يتقارضوا المدح مما سبق أن أشرنا إليه؟!

وأزهد فى مدح الفتى عند صدقه

فكيف قبولي كاذبات المدائح

من ثم يقول لابن القارح: "..وقد شهد الله أني أجذلُ بمن عابني، لأنه صدق فيما رابني، وأهتم لثناء مكذُوب...فغفر الله لمن ظن حسنا بالمسيء"!

وهنا نذكر قوله فى اللزوميات:

وأبعد عن قائل لا سلمت

وآخر قال ألا يا سلمى

ويقول إنه فهم من رسالة ابن القارح أو ربما بلغه بطريق أخرى أن ثمة جماعة تماليء على أمر ليس بالحسن ولا الطاعة، أي اتفقت على الخيانة. وقد احتدم غضبه وغيظه لهذا حتى كاد أن ينتحر!!: "..كدتُ ألحقُ برهط العدم، من غير الأسف ولا الندم، ولكنما أرهب قدومي على الجبار...ولولا حكمة الله جلت قدرته، وأنه حجز الرجل عن الموت، بالخوف من العلز (القلق والهلع) والفوت. لرغب كل من احتدم غضبه...أن تُترع له من الموت كؤوس"!

ما عساها تكون تلك الجماعة المتمالئة؟!

وعلام كان التمالؤ؟!

ولماذا غضب أبو العلاء إلى هذا الحد..حد التفكير فى الانتحار؟

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

لا نعلم..ولكن ابن القارح كان يعلم حتما، وضمن ذلك شفريا . ربما . رسالته إلى أبي العلاء، أو ربما علم الأخير بالواقعة من طريق أخرى..فكيف علم؟!

المهم أن الرجل عدو الخيانة..أليس هو القائل في اللزوميات:

أحاذر أن تجعلوا مضجعي

إلى كافر خان أو مسلم

وفي سقط الزند:

وفيت وقد جزيت بمثل فعلي

فها أنا لا أخون ولا أخانُ

ويلفت النظر هنا قوله عن ابن القارح: "..وأما وُروُده حلب حرسها الله، فلو كانت تعقلُ، لفرحت به فرح الشمطاء المنهبلة...شحط سليلُها الواحدُ، وما هو لحقها جاحد، وقدم بعد أعوام، فنقعت به فرط أوام...فالحمدُ لله الذي أعاد البارق (ضوء البرق) إلى الغمام الوسمي"!

وهذا يؤكد مدى تقدير أبي العلاء لابن القارح، ومدى إدراكه لمنزلته الكبيرة، مما هو برهان يضاف على أنه لم يكن بالشخصية الهامشية أو غير ذات البال . كما ذهب البعض . خاصة وأن المعري يستطرد في التعبير عن احترامه الشديد له فيقول: "..وهو . قدر الله له ما أحب . قد جالس ملوك مصر..وقد أقام بالعراق زمنا طويلا..وبالعراق مملكة فارس، وهم أهلُ الشرف والظرف...ولا ريب أنهُ قد جالس بقاياهمُ واختبر فى المعاشرة سجاياهم"!

ويورد كامل كيلاني ـ الذي لا يفوتني أن أسجل أنه من أعظم من تفرغوا لدراسة وتحقيق وشرح ونشر وضبط أعمال أبي العلاء من القدماء والمحدثين والمعاصرين عامة ودون استثناء! ـ أقول يورد ما قاله ابن عبد الرحيم أحد المعاصرين للمعري في ترجمته لابن القارح وقد أخذ عنه ياقوت فى معجمه ما يلي: "وموجز القول أن ابن القارح ذكي لا أكثر ولا أقل، ولكن ذكاءه سطحى يشركه فيه الكثيرون، فهو ليس مفكرا عميقا ولا واسع الاطلاع، ولكنه ثرثار طيب القلب...وربما كان أوجز ما يُقال فيه أنه فقيه صالح للوظيفة التى مارسها وهي تأديب أولاد الملوك، وهذه صناعة لا تتطلب من الذكاء أكثر مما نراه فى ابن القارح"!

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

هذا على العكس تماما مما توحي أو تؤكد أقوال أبي العلاء فى الرجل، مما سلف بيانه ومما لاشك فيه. وقد سبق أن عددنا حيثيات ابن القارح حتى لقد ذهبنا إلى أنه قد يكون هو نفسه داعي الدعاة الفاطمي!

فلماذا إذن هذا "الهجاء" من جانب بن عبد الرحيم للرجل؟!

إنني أحس من لهجته التحاملية أنها لهجة متعمدة، وأن ابن عبد الرحيم ليس صادقا مع نفسه ولا مع ابن القارح ولا مع ياقوت ولا مع الآخرين! وأنه من نفس نوع الهجاء والهجوم التمويهي الدخاني التكتيكي الذي تعمده ياقوت إزاء أبي العلاء . التفاصح والتشدق. وذلك نزولا على تعاليم أبي العلاء نفسه وعلى تقاليد والتزامات الكتيبة الخرساء وتجنبا للأخطار المحدقة والاحتمالات المتوقعة، مما لا يدع مجالا للشك في أن ابن عبد الرحيم أيضا كان زميلا لابن القارح ولياقوت تحت لواء أبي العلاء..الكتيبة الخرساء. وإلا فلماذا اهتم ابن عبد الرحيم بترجمة ابن القارح؟ ولماذا سجل ياقوت هذه الترجمة؟! إن هذا التسجيل ذاته قرينة على التمويه والمناورة، ودلالة على الرغبة فى التستر على أبي العلاء وعلى ابن القارح وعلى ابن عبد الرحيم نفسه!.وانساق المؤرخون والباحثون وراء ترجمة ابن عبد الرحيم وجازت عليهم جميعا اللعبة..حتى طه حسين، وحتى كتابة هذه السطور !

إن طه حسين قد افترى على ابن القارح حين وضعه مع كثيرين من "أمثاله" وضعا مزريا للغاية، وذلك حين قال في تقديمه لطبعة كيلانى من رسالة الغفران: "..وأحسب . أستغفر الله . بل أثق بأن أبا العلاء إنما أراد أن يسخر من ابن القارح وأمثال ابن القارح، وأن يلهيهم عن نفسه ورأيه وفلسفته، بما كانوا يتهالكون عليه من نحو وصرف وعروض وقافية وغريب ونادرة ودين، فحشى لهم الرسالة حشوا من هذا كله، ولكن دون هذا كله ما لم يفقهه القوم ولم يفطنوا له. ولو فقهوه وفطنوا له لكان لأبي العلاء شأن غير شأنه ولكان لهم شأن غير شأنهم أيضا"!

لا يا دكتور طه!

فابن القارح كان أعظم وأخطر من أن يسخر منه أبو العلاء! وابن القارح لم يكن بالذي يتلهى بمثل تلك الألهيات أو يتهالك عليها فيمن كانوا يتهالكون!

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

ثم إن الرسالة ليست محشوة بهذا كله حشوا عفويا أو عشوائيا أو كما اتفق، وانما هي محشوة به لمعان وأهداف وغايات مقصودة ومحسوبة ومدبرة تدبيرا ويعرفها ويفهمها ويفقهها ابن القارح بالذات جيدا.

إن الكبار لا يقرأون . عادة . للصغار!..وكم أتمنى أن يقرأ طه حسين والعقاد، كما أتمنى أن تقرأ بنت الشاطيء ولويس عوض ما كتبته حتى الآن عن أبي العلاء وعن ابن القارح! كما أتمنى لو أنهم لو أنهم أخذوا العبرة مما أورده أبو العلاء على لسان ابن القارح، حين قال له رؤبة بن العجاج متفاخرا: "أليس رئيسُكم...كان يستشهدُ بقولي ويجعلُني له كالإمام؟". فيرد ابن القارح قائلا: "لا فخر لك أن استُشهد بكلامك. فقد وجدناهم يستشهدون بكلام أمة وكعاء (حمقاء)...وكم روى النحاةُ عن طفل، ما لهُ فى الأدب من كفل"!

فلأكن مثل تلك الأمة الوكعاء أو مثل ذلك الطفل الذي ليس له في الأدب!..فأبو العلاء هو الذي يقول:

لا تزدرن صغارا في ملاعبهم
فجائز أن يروا سادات أقوام

ويقول:

لا تهاون بصغير من عدى
فقديما كسر الرمح القلم

ويقول:

رب شيخ ظل يهديه إلى
سبل الحق غلام ما احتلم

****

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

الفصل السابع

الموقف العلائي من المرأة

ألح أبو العلاء في الجزء الثاني من رسالة الغفران في تحذير ابن القارح من النساء بالذات! كما ألح على ذلك في اللزوميات وفي سقط الزند! وواضح أنه يخشى ما قد تتعرض له الكتيبة الخرساء من أخطار جسيمة!..وسوف نُفصل هذا في الوقت المناسب..المهم انه ينتهز فرصة الكلام عن أبي القطران الأسدي المتيم بوحشية، فيقول: "..وإنما ود الغانية خلاب وخداع، وللكمد في هواهُ ابتداع..ولعل أبا القطران لو مُتع بهذه المذكورة ما يكونُ قدرُهُ مائة حقبة، على غير الجزع والرقبة (الرصد)، لجاز أن يغرض من الوصال...ولعله لو صادف غانية تزيدُ على وحشيته بشق الأبلمة (ثمر شجر الدوم)، لسلاها غير المُولمة".

ولنتذكر حديثه عن شيرين المومس . على حد تعبيره . وكسرى!..ثم لنلاحظ أنه لا يقصد النساء عموما ولا المرأة عامة، كما ذهب إلى ذلك القدماء والمحدثون والمعاصرون، بل هو يقصد نساء معينة هن الغواني، وامرأة معينة هي الغانية. والمعروف أن الأغلبية العظمى من الغواني هن من "جنس" معين، منذ بغايا المعابد

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

وحتى وقتنا الراهن، في جميع أنحاء العالم. وحتى رجال هذا "الجنس" المعروف كالغواني تماما، كما يقول أبو العلاء نفسه في اللزوميات:

ورجال الأنام مثل الغواني

غيرُ فرق التأنيث والتذكير

ومن هنا نفهم إعجاب أبي العلاء بعلقمة بن عبدة، حين يجري على لسان ابن القارح في لقائه بعلقمة (رسالة الغفران) ما يلي: "أعزز على بمكانك (يقصد في الجحيم)! ما أغنى عنك سمطا لؤلؤك (يعني يائيته وميميته) ...ولو شفعت لأحد أبيات صادقة ليس فيها ذكر الله . سبحانه . لشفعت لك أبياتُك في وصف النساء، أعني قولك:

فإن تسألوني بالنساء فإنني

بصير بأدواء النساء طبيب"

ويقول أبو العلاء:

بدءُ السعادة أن لم تُخلق امرأة

فهل تود جمادى أنها رجبُ

فهو يعني امرأة بالذات..وهو لم يقل هذا من باب المصادفة أو من باب الضرورة الشعرية . الوزن . فليس أبو العلاء بالرجل الذي يترك شيئا للمصادفة، كما أنه ليس بالرجل الذي ينحني أمام الضرورة الشعرية.

والمعروف أن أحمد بن عبد ربه حكى في العقد الفريد قصة مؤداها أن المأمون كان يُنصت إلى مغنية فلحنت، فأدرك أنها ليست عربية. وان بدت كذلك . فشك فيها، ولمح ابنه. وكان حاضرا في المجلس . يغمز للغانية المغنية بإحدى عينيه، ففهم أنه يحذرها أو يلفت نظرها، فأمر بسجن ابنه من باب الأدب والتهذيب! لذلك يقول أبو العلاء قاصدا رجالا معينين ونساء معينات:

فأف لعصريهم نهار وحندس

وجنسي رجال منهمُ ونساء

وبهذا وحده يمكن أن نفهم التناقض . الظاهري . في أقوال أبي العلاء عن المرأة..وذلك بأن نتحقق مما إذا كان يقصد المرأة على إطلاق، أم يقصد امرأة

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror

http://www.facebook.com/naguib.soror

خاصة من جنس خاص!..ولما كان التمييز بين نساء هذا الجنس وأي جنس آخر من أصعب الأمور وجب الحذر من النساء عامة التماسا للأمن والسلامة.

فلنقفز إلى رسالة الغفران لنجده يرمز إلى نساء هذا الجنس بنساء "حلب" في قوله: "وربما كان في نساء حلب . حرسها الله . شواعرُ، فلا يأمن من أن تكون هذه منهن، فطال ما كُن أجود غرائز من رجالهن (أي أكثر مقدرة ومهارة ومكرا وخبثا)"!

ولابد هنا من أن نستطرد مع أبي العلاء: "وحدث رجل ضرير من أهل آمد (أعظم مدن ديار بكر في شمال الجزيرة ودجلة محيطة بأكثرها) يحفظ القرآن ويأنس بأشياء من العلم، أنه كان وهو شاب له امرأة مُقينة (ماشطة) تزين النساء فى الأعراس، وكان يُنجمُ على الطريق، وكانت له قُرعة (جراب) فيها أشعار كنحو ما يكون فى القُرع، وكان يعتمد حفظ تلك الأشعار ويدرسُها في بيته، ولا غريزة له فى معرفة الأوزان، فيكسر البيت. فتقول له امرأته الماشطة: ويلي، ما هذا جيد. فيُلاجها (يخاصمها) ويزعم أنها مخطئة. فإذا أصبح مضى فسأل من يعرفُ ذلك، فأخبره أن الصواب معها".

وهنا نتذكر قوله في رسالة الغفران . الجزء الأول . على لسان زفر خازن النار لابن القارح، وهو يحاول أن يرشوه بالشعر: "لا أشعر بالذي حممت . أي قصدت. وأحسب هذا الذي تجيئني به قرآن إبليس المارد، ولا ينفُقُ على الملائكة، إنما هو للجان وعلموه ولد آدم..".

وهنا أيضا لا يقصد الشعر على إطلاقه، وإنما يقصد الشعر المنحول! ثم لننعم النظر في قول زفر: "..ومن تلك الجهة (أي إقليم العرب) أتيتني بالقريض، لأن إبليس اللعين نفثه في إقليم العرب، فتعلمهُ نساء ورجال. وقد وجب على نُصحُك..".

إذن فهو لم يكن يقصد النساء عامة والرجال عامة، بل يقصد رجالا ونساء من جنس معين، رجاله ونساؤه على السواء محض غوان! على حد تعبيره..وكل الفرق في التأنيث والتذكير. إذن يصبح من الواضح جدا قوله في اللزوميات:

أرى الحي جنسا ظل يشملُ عالمي
بأنواعه لا بُورك النوعُ والجنسُ

وقوله:

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror

http://www.facebook.com/naguib.soror

كوني الثريا أو حضار أو الـ

جوزاء أو كالشمس لا تلد

فلتلك أشرف من مؤنثـة

نجلت فضاق بنسلها البلد

أما لماذا قال "مؤنثة" ولم يقل "أنثى" فليس أيضا من قبيل الصدفة ولا من قبيل الخضوع أمام الضرورة الشعرية، وإنما يعني به أبو العلاء شيئا في غاية الخطورة. ولكن حسبنا هنا أن نشير إلى قوله في اللزوميات أيضا:

يلدن أعاديا ويكن عارا

إذا أمسين في المتهضمات

وقوله:

إذا شئت يوما وصلة بقرينة

فخير نساء العالمين عقيمها

ولماذا قال:

ألا تفكرت قبل النسل في زمن

به حللت فتدري أين تلقيه

وألوف السطور النثرية والأبيات الشعرية في كل أعمال أبي العلاء تلح على موضوع "المرأة" عامة ونوع "امرأة" خاصة! وكل ما كتبه القدماء والمحدثون والمعاصرون بلا استثناء عن موقف أبي العلاء من المرأة ومن النسل باطل الأباطيل، لأنه لا يدرك سر التناقض . الظاهري . في أقواله..ولا لمن يتحدث ولا عن من ولا من أجل ماذا! لم يفهموا منهج الديالكتيك العلائي، ومن ثم تخبطوا طويلا وظنوا بالرجل التخبط! على أننا سنعالج هذا تفصيلا في مكان آخر من هذا الدليل..فنحن الآن بصدد الجزء الثاني من رسالة الغفران! وقبل أن أستأنف ما انقطع من حديث أرجو القارئ أن يراجع . على هذا الضوء . أقوال الجني أبي هدرش في الجزء الأول من الرسالة وكيف يتخذ من المرأة بالذات مطيته وأداته في كل أعماله الجهنمية الخبيثة! وذلك في سينيته:

وأسلُكُ الغادة محجُوبـة

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

في الخدر، أو بين جوار تميس
لا انتهى عن غرضي بالرقي
إذا انتهى الضيغُم دون الفريس
....

إلى قوله:

تحملُنا فى الجُنح خيل لها
أجنحة، ليست كخيل الأنيس
وأينق تسبقُ أبصاركُم
مخلوقة بين نعام وعيس
.....................إلخ

ما علينا..فالمهم أن أبا العلاء يأخذ بعد ذلك في الحديث عن مدعي النبوة، ومدعي النبوة والمتألهين..وهم نفس الشيء فى الظاهر، ولكن فى الباطن نجد أنه يفرق بينهما. فالأولون هم الكفار فعلا . ومن جنس معين . والآخرون هم الموحدون، لأن التأله . التوحيد . غريزة فى الطفل كما قال وقلنا فى غير هذا المكان! إذن علينا أن نتحقق جيدا ما إذا كان يقصد . فى كل مرة . التأله بمعنى إدعاء الألوهية أو بمعنى التوحيد، وإلا فلن نفهم شيئا كما لم يفهم أحد شيئا من موقفه من المرأة ومن النسل!.بل ومن الشعر والشعراء. فهو حين يقول فى اللزوميات:

وان شرارها شعراؤها

إنما يقصد شعرا معينا وشعراء معينين لا الشعر والشعراء على إطلاق! وهو أبو العلاء الذي يقول لابن القارح عن القُطْربلي المتهم بادعاء النبوة: "وحُدثتُ أنه. القطربلي . كان إذا سُئل عن حقيقة هذا اللقب . إدعاء النبوة . قال: هو من النبوة، أي المرتفع من الأرض. وكان قد طمع في شيء قد طمع فيه من هو دُونه، وإنما هي مقاديرُ، يُديرُها فى العُلو مُدير، يظفرُ بها من دُفق...وقد دلت أشياءُ في ديوانه أنه كان مُتألها، ومثل غيره من الناس مُتدلها، فمن ذلك قوله:

ولا قابلا إلا لخالقه حُكما"

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

إذن فالقطربلي الذي اتهم بالنبوة كان متألها..أبمعنى أنه كان يدعي الإلوهية؟! لا..فأقوال الرجل تشهد بأنه يدين للخالق ويمتثل لحكمه..وعلى يقين من قدرته على اخزاء الكافرين! كان إذن متألها بالمعنى المعجمي الآخر..أي موحدا. وهنا نفهم قول أبي العلاء في اللزوميات:

وأرحل عنها خائفا أتألهُ

ثم يستطرد أبو العلاء: "وإذا رُجع إلى الحقائق، فنُطقُ اللسان لا يُنبيء عن اعتقاد الإنسان، لأن العالم مجبول على الكذب والنفاق. ويُحتملُ أن يُظهر الرجل بالقول تدينا، وإنما يجعل ذلك تزينا، يُريدُ أن يصل به إلى ثناءٌ أو غرض من أغراض الخالية أم الفناء. ولعله قد ذهب جماعة هم في الظاهر مُتعبدون، وفيما بطن مُلحدون"!

فنتذكر قوله في اللزوميات:

مذاهب جعلوها من معايشهم

من يُعمل الفكر فيها تعطه الأرقا

وقوله:

إذا كشفت عن الرهبان حالهمُ

فكلهم يتوخى التبر والورقا

ماذا كان في وسع أبي العلاء أن يفعل أكثر مما قال في عصره..عصر السبت!

ومع ذلك ظل القدماء والمحدثون والمعاصرون يتهمون الرجل . افتراء . بالكفر والزندقة والإلحاد وربما الوثنية!

****

http://www.facebook.com/light.coil

http://www.facebook.com/naguib.soror
http://www.facebook.com/naguib.soror

ثبت بأعمال ومؤلفات نجيب سرور

http://www.facebook.com/light.coil